فكر وأدب السجون
الإصدار السابع

مؤسسة مهجة القدس
MUHJAT ALQUDS FOUNDATION

الدواحل

الواقع والمأمول

محمود عبد الله عارضة
سجن بئر السبع

الكتـــاب: سلسلـــة فكـــر وأدب السجـــون (7)
"الرواحل، الواقع والمأمول"
المـــؤلف: الأسيـــر المجاهـــد/ محمود عبدالله عارضة
الناشـــر: مؤسســـة مهجـــة القـــدس
غـــزة – فلسطيـــن
الطبعـــة: الأولـــى
سنة النشر: رجب 1435هـ / مايو – أيار 2014م

الكتب والدراسات التي تصدرها المؤسسة تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها
حقـــوق الطبـــع والنشـــر محفوظـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: 1-5]

وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً". [سنن الترمذي]

إهـــداء

☜ إلى روح الشهيد المؤسس والمعلم الدكتور فتحي الشقاقي، وأرواح شهدائنا جميعًا.

☜ إلى الشباب المسلم الحريص على مصلحة الإسلام وأهله.

☜ إلى الذين ضحوا بأرواحهم من أجل رفعة الإسلام وإعلاء كلمته.

☜ إلى الذين نحبهم ولكن نختلف معهم نقول: إن الذي لا يدرك خطأه من الممكن أن يتحول حاضره ومستقبله إلى كارثة.

☜ إلى كل مجاهدي وشرفاء هذه الأمة نهدي هذا العمل.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ورفعنا بالقرآن وأعزنا بالجهاد لإعلاء كلمته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، الداعي إلى توحيد الله وعبادته، وهادم معالم الشرك وضلالته، وعلى آله وأصحابه ذوي العقائد الطاهرة النقية الخالصة من أرجاس الوثنية وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

هذا العنوان الذي عنونت به كتابي هذا مشتق من حديث رسول الله ﷺ، عن سالم بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً)[1]. والراحلة هي الناقة من الإبل التي تحمل أكثر الأحمال وأثقلها وتسير المسافات الطويلة دون ضجر أو كلل وتصبر رغم كل المشقات وهي ذليلة مطيعة لا يجد صاحبها منها نشوزًا أو عنادًا، وفي هذا الحديث الذي يستشرف من خلاله النبي ﷺ حالة الأمة والوضع الذي

(1) سنن الترمذي، 2872، ج6، ص372. تحقيق الألباني، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، ابن ماجة (3990).

ستؤول إليه ينادي الشباب المسلم بأن يكونوا رواحل الإسلام أمام هذه المظلومية الكبيرة التي تغشى الإسلام وأهله.

وقد اعتمدت بهذا الكتاب الصغير على الأسلوب التبسيطي؛ لأنني أعتقد أنه الأنسب في العصر الذي تداخلت فيه الثقافات وامتزجت اللغات واللهجات في كثير من المجتمعات الإنسانية التي تتعرض للغزو الفكري والثقافي في زمن العولمة التي تستهدف كل الخصوصيات الثقافية عدا تعميم اللهجات المحلية على حساب اللغة الأم (العربية) وصعود كثير من اللغات الأجنبية سيما الانجليزية منها على حساب اللغة العربية حتى أضحت المقياس الأول والميزان العلمي للوظيفة والرقي الاجتماعي في كثير من المجتمعات العربية، وهذه جزئية بسيطة وسبب واحد من كثير من الأسباب التي تفرض على العلماء والمفكرين والمثقفين الموازنة بين الخطاب والأسلوب اللغوي وبين المستوى العام للجمهور المتلقي للخطاب الثقافي والفكري من أجل بلوغ الهدف والغاية، وهذه إشكالية ثقافية عانى منها الفقه الإسلامي فيما بعد عصر المذاهب الفقهية، ومن أجل الاستفادة من إنتاج العلماء ظهر عصر الحواشي الذي يفسر أقوال العلماء، وتبسيط الأسلوب اللغوي الذي استخدمه العلماء في كتاباتهم وانتاجاتهم الفكرية والفقهية والأدبية.

إني أردت بهذه الكلمات الإشارة من بعيد إلى كثير من العلماء والمفكرين إلى النزول في كتاباتهم إلى المستوى العام للجمهور المتلقي

سيما من كانت كتاباتهم تستهدف التيار الأغلب الذي بحاجة لنشر الوعي والخروج من حمأة الجهل والتخلف، كما إنني تطرقت في هذا الكتاب إلى مجموعة من المواضيع التي أرى أن الدعاة بعصر الغربة بحاجة لفهمها فهمًا صحيحًا والدعوة إليها إن أردنا النجاح لدعوتنا وإسلامنا وهي مواضيع ليست جديدة وقد تطرق لها كثير من العلماء والمفكرين والدعاة من قريب أو بعيد، أو تلميحًا أو تصريحًا، وأنا أعبر عن فهمي من خلالها وقد أخطئ وقد أصيب، وأسأل الله أن تنفع هذه الكلمات الشباب المسلم ويكونوا رواحل الإسلام، وعلى الله التوفيق.

الأسير/ محمود عبدالله علي عارضة

سجن "بئر السبع" الصحراوي

قراءة

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]

عن ابن شهاب أخبرني حميد قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ)[1]. كما قال ﷺ: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ، إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[2].

إن أكثر ما لفت نظري لآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ التي ذكرت بعضها هو مكانة العلم والعلماء، وحتى إن النبي ﷺ وفي حديث يروى عنه يقسم الناس إلى إما إمام عالم وإما متعلم وبقية الناس لا خير فيهم، وهذه تعطي إشارة لا لبس فيها لكل صاحب عقل أن الإسلام وأهله

(1) متفق عليه، 6768، ج22، ص287.

(2) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، 3092.

يقدرون العلم والعلماء إن جاز التعبير، ويعطون الفضل الأكبر والمكانة الأسمى لكل من طلب العلم وتعلمه، فنحن أمة معجزتنا كتاب الله عز وجل، ونحن أهل الكلمة، وأصحاب القلم، ولا نقبل قولا بغير حجة ولا برهان، ونعتبر العلماء هم ورثة الأنبياء، وأن العلم هو ميراث النبوة الكبير، ولا حظ ولا نصيب في الدنيا ولا ملك ولا سلطان أعظم وأكبر من جاه العلم والعلماء، وأكثر ما أدهشني في القرآن وترتيب آياته وأوقات نزولها، هي الآيات الأولى التي نزلت على قلب حبيبنا محمد ﷺ، رغم أن المهمة الأولى التي أراد النبي ﷺ أن يتممها في المرحلة المكية الأولى كانت ترسيخ (لا إله إلا الله) في نفوس البشر، واستغرقت أكثر من ثلاثة عشر عامًا.

لم تكن الكلمات الأولى في القرآن (لا إله إلا الله)، وإنما كانت تتحدث عن القراءة والعلم وأدوات العلم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]، وهذا يعطي دليلاً وبرهانًا على أن العلم يحظى بالمكانة الكبرى، كلمات هذه الآيات تتحدث عن القراءة والعلم، لذلك كان هو ميراث الأنبياء، والحظ الأعظم لمن ناله، وإنما جاء إتقان القراءة وممارستها قبل (لا إله إلا الله) وذلك حتى نعرف معنى (لا إله إلا الله).

الرواحل وشعائر الدين

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: 7]. قال العلماء في هذه الآية، أي أن الله جعل الإيمان والإسلام أغلى شيء في قلوب المسلمين، وهذه الحالة الشعورية التي لا ينبغي للمسلم إلا أن يكون عليها، وهي أن يكون الدين أهم وأغلى ما لديه، فلا شيء أغلى في نفسه من قيم الدين، لا مال ولا بنون ولا أب ولا أخ ولا صديق حميم، ولا وطن ولا جاه ولا نفس، فهو مستعد ودائم الاستعداد للتضحية في سبيل دينه وعن طيب قلب وحبٍ وكرامة، فتراه يتساهل ويتنازل ويقبل المساومة في كل شيء إلا أمور دينه فهو يموت دونها، وهذا الحب وهذا التماسك والتمسك بقيم الإسلام متفاوت الدرجات، فكلما كانت هذه القيم من أعمدة وثوابت الدين وعقائده كان تمسكه بها أشد واستعداده للتضحية في سبيلها أكبر وأسرع.

الراحلة المؤمن هو أشد الناس تمسكا بها، فلا يلين إذا لان الآخرون، ولا يميل إن مالوا عن حدود الدين وهي إن صغرت أو كبرت، وهو يعطي صورة حية عن النفس المؤمنة التي يصنعها القرآن، وأول هذه القيم وأعلاها وأجلها في نفسه هي العقائد والفرائض التي افترضها الله

عليه، وبها لا تخدش الصورة الإيمانية وتكتمل في شخصه حقيقة الإسلام ونموذجه الأول في الاستخلاف هو الإنسان، اللبنة الأولى في دولة الإسلام التي يسعى المؤمن في سبيل تحقيقها وإقامتها من أجل تحكيم شرع الله وبلوغ غايته في هذه الحياة الدنيا.

فالراحلة صحيح العقيدة لا يخدش إيمانه بشرك أصغر أو أكبر، فلا يقول إن هناك أحدًا غير الله مشرعًا أو حاكمًا، ولا يبغي غير الإسلام دينًا منهجًا للسير فيه وإقامة المجتمع الإنساني، والراحلة المؤمن يؤدي فرائض الله ما استطاع على أحسن وجه، وبالحالة التي ينبغي وفي الوقت الذي ينبغي، وأول هذه الفرائض الصلاة عمود الدين وركنه الأصيل، ومن حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: 9-10] ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف، من خلال ما سبق يتبين لنا مكانة الصلاة في الدين، فلا قيمة لإيمان المرء بلا صلاة، وقد ورد أن أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة هو الصلاة، فإذا صلحت صلح سائر العمل كله، وإذا فسدت فسد العمل كله، والصلاة من أعظم هذه الشعائر، وتعظيم شعائره من تقوى القلوب، وأول هذه الشعائر وأعظمها الصلاة، من أجل هذه المكانة التي تحظى بها الصلاة وما تمثله في الدين على الراحلة

المسلم أن يحرص عليها وعلى أدائها دائمًا بأحسن حال أكثر من حرصه على نفسه وماله وولده، فهي أغلى ما لدى المؤمن، يموت دونها ويضحي بالغالي والنفيس من أجلها، فلا يهملها مهما كانت الظروف ولا يسهو عنها مهما اشتد الخطب، وتحقيق هذه الشعيرة يكون بالمحافظة عليها وأدائها في أوقاتها، وهذه أهم واجبات الصلاة فلا يشغله عنها شاغل مهما كان من إنسان أو عمل أو محبوب أو مصلحة، فإذا سمع النداء لبى مهما كانت الأسباب ولا ينبغي للمسلم الراحلة إلا أن يكون كذلك حتى يكون قدوة للآخرين، فهو معروف بين الناس بحرصه الشديد على أداء الصلاة بوقتها وإقامتها في المسجد قدر المستطاع ولا يمنعه عنها إلا من أجل مصلحة محققة له أو المجتمع أو الجماعة، ولصلاة الفجر مكانة خاصة تنفرد عن بقية الصلوات؛ لأنها الامتحان الحقيقي لإيمان الإنسان، فقد ورد عن الصحابة أنهم قالوا: كنا نعرف المؤمن من المنافق بصلاة الفجر، فإذا حضر الرجل صلاة الفجر كانت له شهادة بالإيمان، ولا يصليها لوقتها ويحضرها إلا قوي الإيمان، ولا يؤخرها إلا ضعيف الإيمان، ويدخل في ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 4-5]، فعلى الراحلة أن يحافظ عليها بوقتها وفي المسجد إن استطاع باعتبار أنه قدوة الآخرين.

ومن واجبات الصلاة الخشوع وهو حضور القلب بأن ينقطع المؤمن عن الحياة ويبذل الجهد لحضور القلب والتعلق بحبال السماء يتفكر بالآيات التي يقرأها، ومن واجباتها كذلك بأن تدفع الإنسان بالابتعاد عن المحرمات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له، وقد كانت كلمات الرسول ﷺ توصينا بالصلاة لمكانتها وأهميتها في دين الله، فعلى المسلم أن يؤديها بأوقاتها وبركوعها وسجودها وواجباتها، وتكون في قلبه أحب إليه من ماله وولده ويعظمها حق التعظيم، وأن يوصي أهله وإخوانه عليها وتصبح شغله الشاغل حتى تستحكم من قلبه وأهمها وأخطرها صلاة الفجر التي تعتبر حاكمًا على إيمان المرء، فليس راحلة من لا يؤدي صلاة الفجر بوقتها وبذلك يعتبر عبئًا على الإسلام؛ لأنه لم يقم الإسلام في قلبه، فكيف يطالب الناس بذلك؟ فالصلاة الصلاة أيها الرواحل، تواصوا بها دائمًا واحرصوا عليها، وإياكم أن يشغلكم عنها شاغل مهما كان، ومن أجل تحقيق هذه القيمة العظيمة على المؤمن أن يقرأ كتبًا تتحدث عن الصلاة وفضلها وعظمتها عند الله، حيث يتعرف المؤمن على صلاته وأمور دينه، وهي من علوم الفرائض.

يتبع الصلاة ركن آخر من أركان الإسلام وهو مهم جدًا وهو حق الفقراء في أموال الأغنياء ألا وهي الزكاة، يجب على المؤمن أن يحافظ عليها ويؤديها لوقتها إن حال الحول على ماله ويذكر الناس بها ويكون هو

أول المزكين، وعليه أن يتفقه في كتب الفقه عن الزكاة، ومن الفرائض الواجب على المؤمن أداؤها كذلك الصيام والحج إن استطاع إليه سبيلا، هذه بعض من الفرائض الكبرى التي أحببت الإشارة إليها، وعلى المؤمن أن يتوسع بالفقه حتى يعرف الحلال من الحرام، ومعرفة أمور دينه، وهناك الكثير من الكتب التي توضح أمور الدين وتبين الحلال من الحرام، عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ).[1]

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَاب فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، 50.

أمة واجبات

يقول الشيخ يوسف القرضاوي: (إن المجتمع المسلم مجتمع واجبات) يعني ذلك أن المؤمن داخل المجتمع المسلم يؤدي الذي عليه، وإذا أدى كل مسلم واجبه وصلت الحقوق لأصحابها دون عناء، فالغني يؤدي واجب الزكاة، فيصل حق الفقراء، وكل فرد يؤدي واجب الجهاد فيتم الدفاع عن حرمات الأمة فتحفظ هيبة المسلمين ولا يطمع فيها الأعداء، وهذه الواجبات لا يمكن أن يؤديها المؤمن إلا إذا عرفها، والمعرفة لا تأتي إلا بالعلم، والعلم لا يتحقق إلا بالقراءة، فالقراءة بالتصور الإسلامي هي عمود الإسلام ومصدر الثقافة وقيمة عظيمة تتحقق فيها ومن خلالها عظمة القرآن ومعجزته وتظهر سماحة الإسلام ومصداقية منهجه، بالقراءة ترقى الأمة وتزداد رفعة وتتحقق قيمة الحرية للمؤمن الذي أراده الله مميزًا وحرًا يرفض أثواب القهر والاستبداد، فالعلم عدو الاستبداد، والجهل قرين الظلم والطغيان، وأينما حل الجهل وعم ساد الدمار والخراب وعاش الناس في حمأة اليأس وزالت خاصية الحرية التي تتحقق من خلالها العبودية التي أرادها الله لنا، والجاهل عدو نفسه ولا يمكن له أن يكون حرًا وهو تابع مقلد ألغى نفسه وعقله ونفوس الآخرين ورضي

لنفسه التبعية والدونية فهو مقيد تابع، لذلك حمل الإسلام على التقليد، تقليد الآباء عن جهل.

صدق علماء ومفكرو الأمة بكل مدارسهم وأطيافهم عندما قالوا إن أزمتنا الكبرى هي أزمة قراءة، فأينما تول وجهك شطر الأمة تجد الفشل والإخفاق والهزائم المتتابعة في كل الميادين وعلى كل الصعد، وبكل الفئات الاجتماعية والتخلف والدمار والقهر والظلم وفساد السلطة والحاكم، مرد ذلك كله أن الأمة لا تقرأ، فالقارئ يرفض ذلك كله، يرفض الظلم والطغيان، يقف في وجه الطاغية والحاكم الفاسد ويأبى على نفسه أن تقوده حفنة من المنافقين الخونة الذين خانوا أمانة التكليف وخانوا الأمة.

إذا عرجنا على فساد النظام السياسي العربي والإسلامي نجده قرين الجهل والتخلف ولا يعيش إلا في ظلها، فالأمة لن تخرج من هذه الأزمة إلا إذا أحدثت ثورة ثقافية سلاحها الكتاب من أجل أن تبني إنساناً حرًا مستقيمًا، ولأن الإنسان المسلم والعربي قد سلب حرية الإرادة وقبل على نفسه طوعًا أو كرهًا أن يسير في ركب التخلف والانهيار، فإذا ما أراد العرب والمسلمون أن يخرجوا من هذه الدائرة لا بد لهم من نهضة وثورة سلاحها الكتاب والكلمة الحرة، لابد أن ينشأ جيل جديد مثقف يحمل هم الأمة ويتبنى قضاياها ويلبي واجباتها حتى تصل الحقوق لأصحابها ولا يكون ذلك إلا بالعلم والقراءة الحرة، وأقول الحرة؛ لأن من القراءة ما يحمل صفة التوجيه والتبعية من أجل خدمة ذاك النظام الفاسد وتلك

السلطة المستبدة، والنظام التعليمي القائم في عالمنا العربي والإسلامي النموذج الأمثل لذلك فهو نظام عاجز موجه في أغلبه يخدم أجندة النظام ويحاكي متطلبات الغرب الاستعماري الذي نجح في معظم البلاد بأن يبقى التعليم يسير في ركب الثقافة الغربية، فمدارسنا وجامعاتنا لا تخرج مثقفين بل موظفين، ولا تصنع شخصية وطنية أو إسلامية تنتمي إلى تاريخ وحضارة وهي تعمل على إنشاء شخصية هلامية قابلة للضياع والذوبان ولا تعرف إلا مصالحها الخاصة، فالإبداع مقتول والاستقلال الثقافي معدوم، ومن أراد أن يتفوق في علم من العلوم لا مكان له إلا الغرب، وهكذا يحدث نزف العقول من العلم الإسلامي إلى الغرب، وهذه خطة مدروسة بين الغرب وأتباعه في عالمنا العربي والإسلامي، هذا هو حال مؤسساتنا التعليمية إلا ما رحم ربي.

إننا نواجه خطرًا كبيرًا متمثلاً بآخر صرعاته في عصر العولمة الذي يهدد الثقافات ويقضي على الخصوصيات ولا يعيقه عائق بفضل التقنيات الحديثة، فهذه الأزمة الكبرى لا يمكن الخروج منها إلا بنهضة ثقافية عارمة تستيقظ من خلالها الأمة، ونذكر بالتاريخ الذي أدار الدائرة علينا حيث كانت الأمة تقود زمام البشرية في العصر الإسلامي الذي أنار الدنيا بعلومه، لقد تقدمنا عندما أخذنا بزمام العلم وكنا أمة قراءة وعلم، وكانت أوروبا تواجه خطر الاندثار لسبب بسيط، أنها لا تقرأ ولا تعرف طريق العلم، وكان العلم خرقة لديهم والعالم والمفكر مهرطقًا ويجب قتله وعدو

للرب، ولم تخرج أوروبا من عصر الظلمات إلا بالنهضة الثقافية والعلمية التي قدمت العلم والعلماء، وأعلنت ثورة في عالم العلم وانكبت على الكتاب، وقتها بدأ التراجع الإسلامي والدخول في عصر التخلف والانحطاط وبدأ يأفل عصر العلم والعلماء حتى أصبحنا في ذيل الأمم، واليوم وبين يدينا القرآن الذي يحدثنا عن علم التاريخ وانهيار الحضارات يذكرنا من جديد أنه لا نهضة ولا رجعة لنا إلا إذا عدنا للكتاب، ليس فقط القرآن بل إلى كل العلوم، لا بد لنا من أن نكون بمستوى شعار أمة القراءة، نحن أمة القراءة، ولكننا لا نقرأ، ولا سبيل للنجاة سوى القراءة التي تصنع الإنسان الحر الذي يقف في وجه الظلم ويرفض التبعية ويحمي الخصوصية، الإنسان يرى نفسه جزءًا من الكل ولبنة في جدار الأمة وهيكلها.

عندما يصبح الإنسان المسلم والعربي هكذا لن تقف في وجهه قوى الأرض قاطبة، وهكذا هي قوة المثقف، وهذا هو التصور الإسلامي للإنسان المسلم داخل المجتمع الإسلامي، الرجل هكذا يساوي أمة، ولنا عبرة كبيرة في قصص الأنبياء، فهذا نبي الله موسى عليه السلام جاء إلى فرعون الذي يمثل إمبراطورية الشر يحاربه بالكلمة والعلم، فالقوة مهما بلغت لا يمكن لها أن تقف في وجه الكلمة التي تمثل جيشًا عندما تحدث فعلها في الإنسان المسلم الحر، فقد هدم سيدنا موسى عليه السلام القوة المادية الضخمة التي ملكها فرعون بقوة العقيدة وبصدق الكلمة ونور

الفكرة والعلم، فكانت الكلمة جيشاً حرك النفوس وهزّ قلوب العامة، فما كان أسرع من انقلابهم على الظلم والاستبداد.

وهذا محمد ﷺ يهدم قوى العرب الأولى في المرحلة المكية المتمثلة بقريش بقوة الكلمة وبلاغتها التي خاطبت النفوس الحية، فأحدثت ثورة كانت نتائجها أن هدمت بنيان الجاهلية القائم على الجهل والتخلف، فجهل الجاهلية الحديثة وفراعنة العصر في هذا الزمان لا تسود إلا بتجهيل الناس واستعباد الشعوب، فإذا ما أردنا الخروج من هذه الأزمة الكبرى التي تعصف بنا، وإذا أردنا أن نهدم معالم الشرك في عصرنا الحديث وإزالة فراعنة العصر لا بد لنا من أن نحدث ثورة سلاحها الكتاب وذخيرتها الكلمات وقلاعها المكتبات ومدافعها الأقلام.

إن الاستعمار الحديث وأعوانه في المنطقة من حكام وأشباه مثقفين عملوا وبكل إمكانياتهم الضخمة على تخلف الشعوب وذلك من خلال تبعيتها للغرب، لقد ربطوا مؤسساتنا التعليمية ومناهجنا بفلسفة الاستعمار حتى لا تقوم لنا قائمة، وقد صدق القائل:

قلدوا الغرب ولكن بالفجور وعن اللب استعاضوا بالقشور

وهذه ليست دعوة من أجل المقاطعة بل من أجل الضغط والثورة والمطالبة بتغيير الفلسفة والمناهج والشعور الذي تحمله، والثقافة العامة مع التخصص من أجل صياغة شخصية إنسانية تنتمي إلى تاريخ وحضارة، شخصية إسلامية كما أرادها الله لنا ترفض الظلم والاستبداد

وتحمي مبادئها وقيمها الحضارية وتحافظ على خصوصيتها وتصوراتها الحضارية.

لقد رسخ الاستعمار الحديث وأتباعه التبعية والدونية وكرسوا الهزيمة في نفوس الشعوب العربية، والإسلامية حتى ينصروا بالرعب، وقد حدث ذلك لكنه لن يدوم، وكرهوا إلينا العلم والقراءة وربونا على الخصوصية الشخصية وحب الذات والاهتمام بالمصلحة الخاصة على حساب المسؤولية العامة، فالطالب يكره المدرسة ويبغض العلم، ولا يقدر المعلم حق التقدير ولا يقيم وزنا للعلم والعلماء إلا ما رحم ربي، والطالب المتفوق لا ينظر إلا إلى نفسه، والمتفوق لا يخرج عن دائرة اختصاصه، فهو موظف ليس مثقفاً ولا يتوجه إلا إلى العلوم الطبيعية في كثير من الأحيان ولا يخرج بفهمه عن هذه الدائرة، فذاك الطبيب لا يعرف سوى علم الطب والفيزياء والكيمياء كذلك، حتى في العلوم الشرعية اصطبغت بطابع التخصص، فإذا ما سألت الطبيب عن التاريخ أو عن مأساة الأمة في جانب من جراحاتها الغائرة لا تراه يعرف شيئًا عن وطنه وأمته، ولم أفاجأ في أحد البرامج الترفيهية على التلفاز عندما سئل أحد المهندسين في أحد العلوم عن سورة الإخلاص ولم يعرف ما هي هذه السورة؛ لأنه في سنوات الجامعة الست أو الأربع لم يدرس شيئًا عن الإسلام ولا عن القرآن، وذاك في برنامج آخر، بروفسور في أحد العلوم قال: ماذا يمثل الشيخ القرضاوي في الإسلام أمام الداعية عمرو خالد؟

عندما حدثت مظلومية النبي ﷺ في الرسوم المتحركة وتوجه عمرو خالد وطارق السويدان إلى الدنمارك مخالفين إجماع العلماء، موقف هذا البروفسور ينم عن جهل مطبق لدى الأمة، فهو لا يعرف القرضاوي ولا يفرق بين الدعاة والعلماء، وهذه أزمة أخرى لدى الأمة، هاتان القصتان تعطيانك صورة متكاملة للمتعلمين عند الأمة، وليس معنى ذلك أننا نرفض التخصص بل هو واجب في كثير من الأحيان، لكن على الطالب والمتعلم أن يجمع بين تخصصه والثقافة العامة سيما ثقافته الخاصة التي تعبر عن هويته.

فالمسلم عليه أن يدرس الإسلام من أجل أن يصوغ نفسه صياغة إسلامية إن أراد أن يكون مثقفًا يخدم أمته ونفسه مع الاهتمام لكبير بتخصصه، وهذا ليس صعبًا، ودراسة الإسلام تعني الاطلاع على التراث من أجل أن تتشكل هويته ويتعرف على رسالته ويحمل هم الأمة ويتحسس آلامها ويضمد جراحها، فالطبيب أو المهندس أو الأستاذ والعالم بالفلك والفيزياء والنووي يعرف تاريخ الإسلام ويحمل التصور الإسلامي الصحيح للمرأة والديمقراطية، وعالم الاجتماع يعرف بالفقه الحديث، ولديه رؤية عن كل شيء (ثقافة عامة)، هذا هو الإنسان المتعلم في التصور الإسلامي الذي بنفسه جيش قادر على التغيير والتقدم في كل الميادين.

إن ثقافة الشعوب الغربية رغم خصوصيتها هي التي أحدثت النهضة العلمية وتقدمت علميًا وتقنيًا، ولن تكون لنا صولة من جديد ولن تقوم لنا

قائمة إلا إذا نهضنا من جديد، ونهضتنا لن تكون إلا بالعلم، والعلم لن يكون إلا بالقراءة التي تصنع ثورة في النفس وتؤسس لحضارة عمادها العلم، لذلك علينا أن نقرأ، ونقرأ القراءة التي تشكل وتكون الهوية وتصنع الشخصية والإنسان الحر السوي الذي يرفض التبعية والانحراف، وأول هذه القراءة القراءة الإسلامية التي تصنع الإنسان المسلم الحر وتصنع منه أمة، إن الذي ليس له هوية وخصوصية لا قيمة له، فالمسلم عليه أن يعرف رسالة الإسلام ويدرس التراث الإسلامي بكل علومه، من علوم القرآن والحديث والتاريخ والأدب والفن وكل ما أنتجته الحضارة الإسلامية خلال أربعة عشر قرناً.

العلم في التصور الإسلامي

كثير من الناس يظن أن العلم الذي يدعو إليه القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ فقط يقتصر على العلم الشرعي، إن هذا الفهم خاطئ وتقزيم للعلم الذي دعا إليه الإسلام، صحيح أن أشرف العلوم هي العلوم الشرعية، ولكن المقصود كما أجمع علماء الأمة هو كافة العلوم، الشرعية والعلمية والإنسانية التي تحقق مصلحة العباد في الدنيا والآخرة، فكل علم يحقق المصلحة هو علم نفعي بالتصور الإسلامي سواء كانت علوم طبيعية مثل الطب والهندسة والرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها التي تقوم على الحقيقة، أو علوم إنسانية التي تحتمل الخطأ والصواب وتجلب نفع للإنسانية مثل علوم الاجتماع وعلوم النفس وعلوم التاريخ، صاحبة الأهمية الكبرى في الرقي البشري وأنت تجد بالتاريخ الإسلامي والعصر الحديث من علماء الأمة من درس هذه العلوم، ولم يستنكر أحد عليه إلا العلوم التي لا فائدة منها مثل علم السحر والشعوذة.

وإني أنصح كل الشباب المسلم بدراسة كتاب الأستاذ عبد الكريم بكار (القراءة المستثمرة) وفيه يتحدث عن أنواع القراءة وأساليبها وأفضلها، وهو كتاب قيم ذو فائدة عظيمة.

إننا أمة القراءة؛ ولكننا لا نقرأ ولن يكون لنا شأن إلا إذا حملنا هذه الخاصية من جديد، ويجب أن نعلم أن سياسة التجهيل هي اليوم من أعظم أساليب الاستعمار الحديث وأنناب من أجل أن نبقى في ذيل الأمم وعالة على الشعوب رغم أننا نمتلك أكبر الإمكانيات ومقومات القوة والوحدة من ثروات طبيعية ووحدة دين ولغة وعقيدة وتاريخ مشترك وجغرافيا موحدة وجغرافيا سياسية مميزة، هذه لعوامل يدركها الاستعمار وأتباعه في المنطقة وهي تفرض أزمة التحدي بيننا وبينهم، حتى لا نشكل بديلاً حضاريًا لهم رغم أننا نؤمن بالتعددية الثقافية وخصوصيات الشعوب، فالكون بالتصور الإسلامي قائم على اختلاف الخلق وتوحيد الخالق، والعولمة بالتصور الغربي تبغي القضاء على الخصوصيات من أجل أن تسهل السيطرة الاستعمارية على العالم وفرض نظام دولي موحد ذي طابع وأيدولوجيا واحدة.

وسائل القراءة

في عصر المعلومات اليوم تزداد وسائل القراءة وتتعدد، وكل يوم يأتي علينا بجديد، وآخرها الجريدة الالكترونية التي ستكون بدلا عن المجلة والصحيفة المطبوعة، وشبكة الانترنت ووسائل الإعلام والهواتف النقالة، كلها وسائل من وسائل العلم ويجب الاستفادة منها، لكن لا بد من التركيز على مسألة وهي أن هذه الوسائل بمجموعها في أغلبها ليست بأيدينا بل بأيدي الطرف الآخر، فهو يقدم نوع وحجم المعلومة ويتحكم في أذواق الناس واتجاهاتهم إلا من رحم ربي، فلذلك يجب الاعتماد على المصادر الموثوقة في الإعلام والانترنت والصحافة بكل أشكالها؛ لأنها تحمل ذات الرسالة، وهذا موضوع طويل وشائك وأفتقر لكثير من المصادر نتيجة وضعي داخل السجن، ويمكن للإنسان أن يدرس عن هذه المادة لكثير من الإعلاميين والمثقفين والعلماء والمفكرين الذين يتحدثون عن آليات عمل وسائل الاتصال والإعلام حتى يعرف المرء أين يقف، وأنا أرفض الموقف السلبي الذي يريد العزلة وعدم استخدام التقنيات الحديثة بحجة أنها ليست بأيدينا وليست من صنعنا ولا تملك توجيها بأغلب الأحيان، بل

أرى أنها ومن خلال التوجيه ونشر الوعي يمكن لنا الاستفادة منها بشكل كبير وتجنب أضرارها، فما من شيء إلا ويحوي النافع والضار.

لمن نسمع ولمن نقرأ أولاً؟

علينا أن ندرك أن الاستعمار خرج من أرضنا بقواته العسكرية؛ لكنه أبقى جيشاً من أعوانه من أنظمة وحكام ومثقفين من أجل أن تبقى روح الاحتلال تسري فينا، فأنت تسمع وترى جمهرة من المثقفين المهزومين يروجون للفكر الغربي والمشروع الغربي على حساب ثقافتنا وخصوصيتنا ومن أجل الذوبان في النظام العالمي الجديد، فمنهم المرتبط مباشرة بدوائر الاستعمار ومنهم المفتون بالثقافة الغربية ومنهم المهزوم نفسيًا، وعلى المثقف والمتعلم أن يحذر ثقافاتهم المسمومة التي تزيد الجراح آلامًا، فالذي ينبري للدفاع عن هذه الأنظمة المتعفنة وعن الظالم والمستبد والفساد يجب أن نكون على النقيض من فكره وعلمه وثقافته، وعلينا أن ننحاز للمثقف والمفكر والعالم المسلم الحر الذي يعلن الحرب بقلمه وفكره على الظلم والفساد ومحاربة المفسدين والمهزومين من هذه الأمة.

إن أزمتنا الكبرى هي أزمة قراءة وعندما تصبح القراءة ثقافة ستخرج الأمة من أزمتها بسرعة قصوى، وأما إن بقينا هكذا أقل الشعوب قراءة وأضعفها اهتمامًا بالكتب وأقلها ترجمة ودراسة وبحوثًا لن تقوم لنا قائمة،

لقد هالني خبر الإذاعة الصهيونية وتقريرهم الداخلي بنشرة الأخبار حيث أعلنوا حالة الطوارئ؛ لأن المستوى العام للقراءة تدنى بشكل ملحوظ وأعلنوا التعبئة العامة من أجل أن تبقى القراءة ثقافة وعادة وعلامة لشعبهم، هكذا تتقدم الأمم بالعلم والقراءة.

القراءة الإسلامية أولاً للمسلم:

من أجل صياغة الشخصية الإسلامية كما ذكرت سابقًا لا بد للمسلم من أن يقرأ قراءة واعية لذاته الإسلامية، ويشمل هذا علوم القرآن وعلوم الحديث وعلم أحوال الفقه، والتاريخ الإسلامي وعلم اللغة العربية، والثقافة العامة الإسلامية، فهذه المجالات تعني الاطلاع على كافة هذه العلوم من أجل أن يكون المسلم على دراية بهويته وخصوصيته وتمايزه الإسلامي، وليس معنى ذلك أن يكون المثقف المسلم خبيرًا بهذه العلوم وإنما المقصود أن يكون لديه خلفية علمية واطلاع لا بأس به حتى يستطيع إعطاء صورة شبه متكاملة وغير منقوصة عن ثقافته وتراثه وهويته، وهذه إشكالية مناهجنا التعليمية ومؤسساتنا العلمية. إنها لا تخرج ولا تصنع شخصية إسلامية متكاملة، ثم على المسلم أن يكون لديه اطلاع كبير على العلوم الإنسانية خصوصا منها الحديثة، مثل علوم الاجتماع والسياسة، وعلوم النفس والتاريخ، وغيرها من العلوم الأخرى، هكذا ينشأ جيل متعلم وواعٍ يحمل الهم العام ويعبر عن ذاته من خلال الأمة.

وقد يظن القارئ للوهلة الأولى أن الإحاطة بهذه العلوم ودراسة ألوانها غاية في الخيال، وهذا فهم خاطئ، والعلوم العامة في عصر العولمة وثورة الاتصالات ليست عصية على الدراسة والاطلاع ولا تحتاج إلى جهد كبير سيما إن كانت خارج التخصيص، فدراسة التاريخ وعلم التاريخ مثلاً لا تحتاج إلى جهد كبير ومدة زمنية طويلة، إن كانت الدراسة دراسة ثقافية ومن أجل الاطلاع وزيادة الوعي، وكذلك العلوم الشرعية أيضًا وأي علم من هذه العلوم، على المثقف أن يحمل من كل علم لونًا فهو يعرف عن شيء كل شيء هذا (تخصص)، وعن كل شيء شيئًا وهذه (ثقافة عامة)، يجب أن تصبح القراءة عادة وثقافة وجزءًا من التقاليد والظواهر الاجتماعية، وهذه الثقافة وهذا النمط والسلوك يجب أن يدخل إلى كل بيت وأسرة، وإلى رياض الأطفال ومدارسنا وجامعاتنا، وإذا ما نشأ الطفل في بيت ورأى والده يحمل كتابًا ووالدته كذلك فإنه سيخرج مولعًا بالكتاب، فالطفل أول من يحاكي والديه، إن عادة التدخين تنتشر بين الأبناء، والأطفال بشكل كبير، وأكبر الدوافع لذلك وأسباب هذه الظاهرة هي تقليد الآباء والإخوة الكبار.

فإن أصبح الكتاب هو الذي يقلد منه الطفل أباه ستتحول الأمة إلى أمة قراءة، وهذه مسؤولية كبرى تقع على عاتق الآباء والأشقاء والأساتذة بالصفوف. علينا أن نرغب الجيل الناشئ بالقراءة والتعلق بالكتاب وما يقوم مقام الكتاب من صفحات الكترونية حديثة، وعلينا أن نتوجه ونوجه

الأبناء لدراسة العلم المفيد الذي يخدم قضايانا الوطنية والإسلامية، وهذه للأسف الشديد إشكالية كبرى لدى الفئة القليلة القارئة، توجه اهتماماتها إلى الثقافة الركيكة والفن الهابط والعلوم السلبية التي لا تغني ولا تسمن من جوع، وهذه اسميها (قراءة مقننة) وكأنها ليست قراءة، يقول الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكار في كتاب العولمة: (إن أمريكا عندما أدخلت الانترنت في مجال الخدمة المدنية كانت مادة الانترنت مادة مفيدة، لكنها لم تحقق هدف أمريكا من وراء الانترنت، لذلك جعلت المادة الرئيسية في الانترنت هي الثقافة الركيكة والفن الهابط، وأخبار الممثلين وعارضي الأزياء، وأدوات الترفيه واللهو وأهمها الأماكن الإباحية)، وقد نجحت نجاحًا كبيرًا بتجهيل الشعوب وتعميم النمط الأمريكي والثقافة الأمريكية والذوق الأمريكي، وأكثر المجتمعات المتضررة هي المجتمعات المحافظة وأهمها البلاد الإسلامية، فقد جاءت قناة (بي بي سي) باستطلاع عام أجرته في برنامج (أنت والحدث) عن استخدام الانترنت في إحدى دول الخليج، ولا نريد ذكر اسمها، أن الانترنت المستخدم في هذا البلد حوالي (92%) على الأماكن الإباحية، و(7%) على الحركات الإسلامية، و(1%) على متفرقات.

يجب أن تتحول القراءة إلى عادة وثقافة ومقياس للرقي والشرف الاجتماعي، وعلينا أن نقدم القراء والمثقفين ونكرمهم ونشجع القراءة ونعمل على إنشاء المكتبات حتى يخرج جيل مثقف وواعٍ لقضاياه وهمومه

الوطنية والإسلامية، ولا يكون ذلك إلا بالقراءة والعلم. يقول الشيخ الحبيب محمد الغزالي: (عندما يقرأ الإنسان يرتقي ويرتفع)، إن القارئ يكبر في نفسه ويكبر همه وتزداد اهتماماته ويخرج من دائرة الذات إلى دائرة الأمة، ويقدم مصلحة الجميع على مصالحه الذاتية، بالقراءة تزول الهموم، لأن الهم يصبح واحدًا وهو الرقي والتقرب إلى الله، والعمل من أجل مرضاة الله بخدمة الناس. يقول الرسول ﷺ: (الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ)[1]. عندما يقرأ ويفهم ويعمل بهذه المعاني فإن الفقير يزول فقره وتصله حقوقه دون سؤال، وعندما تقرأ المرأة تنشئ جيلاً مسلمًا وتبني بيتًا لله مؤسسًا على التقوى وتخرج جيلاً يحب العلم ويكرم والديه ويحترم إخوانه والناس، ويؤدي واجبه في مجتمعه ويكون عنصرًا ايجابيًا فعالاً.

إن كثيرًا من مشاكلنا الاجتماعية داخل الأسرة بين الزوجين وبين الأبناء والآباء والإخوان، كل إشكالية مردها الجهل، فالمثقف والمتعلم لا يمكن أن يتردى إلى السوء مهما كبر فهو يرتفع عن الصغائر وينظر إلى الأمور بمقياس علمي دقيق ويعطي كل ذي حق حقه، ولا بد أن نشير هنا إلى أن كثيرًا من الأمراض الاجتماعية مردها الجهل وقلة الوعي، فالقراءة هي بلسمنا الشافي من كل الأمراض وهي الحل الوحيد لأزمتنا

(1) حديث ضعيف، 2087، الضعيفة، ج5، ص104.

وتخلفنا الحضاري، وعندما تصبح قرانا ومدننا ومنازلنا مثل مدن الأندلس وقرطبة وغرناطة وإشبيليا يكون لنا شأن بين الأمم وسيعود مجدنا الحضاري بإذن الله، ولا بد أن نختم بحديث رسول الله ﷺ الذي يروى عنه: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال يوما لابن أخيه: (يا ابن أخي ترى الناس ما أكثرهم؟ قال: نعم، قال: لا خير فيهم إلا تائب أو تقي. ثم قال: يا ابن أخي ترى الناس ما أكثرهم؟ قال: بلى، قال: لا خير فيهم إلا عالم أو متعلم)[1].

(1) تفسير القرطبي، ج1، ص161.

الأخلاق

عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاق)[1]. وهذا يعني أن الدين هو بنيان من أخلاق بل هي أعمدة هذا البناء، وأي بناء بلا أعمدة سينهار، والدين هو الخلق، وفي الحديث الدين حسن الخلق، وفي الحديث المروي أعلاه قال العلماء كما ذكر أبو بكر الجزائري في كتابه (منهاج المسلم) حدد النبي ﷺ الغاية من بعثته، وهي إتمام مكارم الأخلاق، فإذا ما أراد العبد أن يتقرب من ربه سبحانه لا شيء أعظم له من مكارم الأخلاق ومن حسن الخلق. عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاةِ)[2]، وهذا يعني أنه لا صلاة ولا صيام ولا حج ولا قيام ولا جهاد ولا صدقة ولا عمل صالح بدون الخلق الحسن، فأي قيمة لهذه الطاعات أن لم يصحبها الخلق الحسن، تخيل رجلاً يؤدي الفرائض وهو كثير الغيبة ونمام وحسود وضيق الصدر، سباب، طعان،

(1) 2087، هو مخرج في الصحيحة رقم 45.

(2) سنن الترمذي، صحيح. الصحيحة (876)، الإرواء، 941، تحقيق الألباني.

لعان، بذيء، غشاش، لا يصدق إن حدث، ولا يوفي إن عاهد، وإذا خاصم فجر، متكبر وقاطع رحم.

إن للخلق الحسن علامات يذكرها أبو بكر الجزائري في كتابه (منهاج المسلم)، أن يكون المسلم واسع الصدر ورحيم القلب، ويعفو ويصفح، لا سبابًا ولا لعانًا، صدوق اللسان وكثير الصلاح وقليل الكلام كثير العمل، يحب في الله ويبغض في الله، وقد وصف النبي ﷺ بأنه على خلق عظيم حيث كان خلقه القرآن، يعفو عمن ظلمه، يلين مع من قسا عليه، يعطي من حرمه ويصل من قطعه، فالراحلة المسلم والداعية المؤمن عليه أن يكون على خلق كبير يمتاز بسلوكه بين الناس حتى يكون القدوة الحسنة ويعطي الصورة الصحيحة عن الإسلام؛ لأن المجتمع غابت عنه القيم الإسلامية والشخصية المسلمة، ومهما كان مجال عمله وتخصصه بالميادين الدعوية عليه أن يحسن خلقه ويحسن معاملة الناس والحنو عليهم وتبني همومهم ومشاركتهم آلامهم وأحزانهم، يتميز الإنسان المسلم والراحلة المؤمن صاحب الخلق الرفيع والحسن بعدة صفات منها:

أولاً: الصدق:

عن شقيقٍ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ

يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)[1]، فعلى الداعية الالتزام بهذا الخلق العظيم وعدم الحياد عنه حتى لو كان فيه الأذى والهلكة، فيعرف الراحلة بصدق القول، وصدق الحال أن يظهر بغير مظهره، كالفقير الذي يبدي للناس أنه غني، والجاهل الذي يوهم الناس أنه عالم، فالمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور، يتبين لنا من حديث رسول الله ﷺ، أنه على الداعية الراحلة أن يبتعد عن الكذب مهما كانت الأسباب ويتحرى الصدق؛ لأن به النجاة والفوز برضى الله، فإن المسلم يطبع على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب، ويعني أن الإنسان قد يحمل من صفات السوء الكثير، لكنه ليس كذابًا؛ لأن الكذب ضد الحق وصفة ذميمة من صفات المنافقين، والكذاب مفضوح إن عاجلاً أو آجلاً.

ثانيًا: حسن الظن بإخوانه:

من علامات الخلق الحسن أن يكون المؤمن الراحلة صاحب ظن حسن بالمؤمنين من حوله، فلا يسيء الظن بهم ويتأول لسلوكهم وأخطائهم بل يحمل أقوالهم وتصرفاتهم على المحمل الحسن وإذا رأى سلوكًا خاطئًا أو قولاً يحتمل الشبهة عليه أن يحسن الظن بأخيه المسلم لعله يتغير ويصحح هذا السلوك، وذلك لقول النبي ﷺ، عن الأعرج قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: يؤثر عن النبي ﷺ قال: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ

(1) مسلم، 4721، ج13، ص16.

الْحَدِيثِ، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا، وَلا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ)[1] فكثير من البيوت هدمها سوء الظن وأناس قتلوا، واتهمت نساء بأعراضهن، إن حسن الظن أولى بالمسلم، فعلى الداعية أن يتصف بهذه الصفة ويكون معروفًا بحسن ظنه، وعليه أن يبتعد عن الخلق الذميم وهو سوء الظن.

ثالثًا: واسع الصدر ورحيم القلب:

الراحلة صدره واسع لكل الناس يتحمل أخطاءهم ويعفو عن السيئ ويتجاوز عن زلاتهم، وإحدى صفات النبي ﷺ بأنه لين الجانب يعني سهل التعامل، إن أتلف له أحد حاجته هون عليه وفداه بها ولم يزعجه بكلمة ولا نظرة تؤذيه وكأن شيئا لم يحدث، وما أحوج الدعاة لمثل هذه الصفة بأن يكون الداعية سهل التعامل لا يقسو بمعاملته مع الناس حتى لو آذوه بحاجياته وخصوصياته، ورحيم القلب وذلك بحب الناس والعطف عليهم والتقرب من الفقراء والمساكين ولا يؤذي أحدًا ولو بكلمة أو إشارة. عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ)[2]، وأول ما تكون هذه الرحمة على ذوي القربى وكل من يعامله ويلاقيه من الناس.

(1) صحيح البخاري، 4747، ج16، ص110.

(2) 1924، ج4، ص424، تحقيق الألباني، صحيح، الصحيحة 922.

رابعًا: كثير العمل وقليل الكلام، كثير الصلاح وقليل الفساد:

على الراحلة المؤمن أن يعرف بهذه الصفات، فهو لا يتكلم كثيرًا، ولكنه يعمل كثيرًا، فكثرة كلامه مذمومة سيما إن كانت من رجل قليل العمل، والعلم بلا عمل لا قيمة له وحجة على صاحبه، والداعية يجب أن يكون قدوة لغيره نشيطًا في كل الميادين سيما ما كان منها لخدمة الناس؛ لأن أحسن الناس وأحبهم إلى الرسول ﷺ هم أكثر الناس خدمة للناس، والناس عندما تقوم على حاجاتهم تتأثر كثيرا بك وتحمل فكرك ومنهجك بالحياة، لذلك كان لنا في رسول الله ﷺ والأنبياء من قبله أسوة حسنة، ويعرف الراحلة بأنه كثير الصلاح قليل الفساد وخيره أكثر من شره، لا يؤذي أحدًا بلسانه ويده وبصره وقلبه وجوارحه، معروف بخيره وخدمته ونفعه للآخرين، ليس مفسدًا ولا سيء الخلق، لذلك لا يخشى الناس صحبته والاقتراب منه، يلين مع من قسا عليه، يعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه، هذه من أهم الصفات التي يجب على الراحلة أن يتحلى بها حتى يمتاز بين الناس ويكون الذي تحدث عنه الرسول ﷺ بأنه يصلح ما أفسد الناس أو يصلح إذا فسد الناس من أجل أن يقبل الناس الإسلام، ويقبلوا عليه ويحملوا همه. فعندما يقسو الناس عليه يلين معهم ويصبر على أذاهم. وإذا حرمه الناس من حقه لا يتعامل

بالمثل بل يعطي من حرمه حتى لو كان بعيدًا عنه. ويعفو عمن ظلمه سيما إن كان من عامة المسلمين، وليس من الظلام المجرمين المعروفين بالفساد والظلم فهؤلاء العفو عنهم في كثير من الأحيان خطأ سيما إن كانوا من ذوي السلطان. والراحلة يصل من قطعه سيما إن كان من ذوي القربى الوالدين والإخوان والأعمام والعمات والخالات والأقرباء. فهؤلاء مهما قسوا ومهما قاطعوا على الراحلة أن لا يتعامل بالمثل معهم ويصلهم حتى لو قاطعوه. وعلى الراحلة أن يكون كثير الحياء، قليل السؤال؛ لأن المسألة مذلة ومذمومة. واليد العليا خير من اليد السفلى. الداعية عليه أن يترفع عما في أيدي الناس يعطي ولا يسأل. السؤال يقطع الحياء ويذل الرجال. يقول النبي لا تزال المسألة بالرجل حتى يلقى الله وليس وجهه كله لحم. وعليه أن يكون حيي اللسان بعيدًا عن فحش القول. الكلام البذيء والمزح البذيء كل ذلك يخدش الحياء ويستمرئ الإنسان الفاحشة والإثم وتصبح طبيعيه وعليه أن يكون كريمًا سخيًا. لا مسرفًا ولا بخيلاً. والسخاء قال العلماء: قضاء الحاجة، وأن تكون بمالك متبرعًا وعن مال غيرك متورعًا، وأن يزهد بما في أيدي الناس، فلا يبني علاقة من أجل منفعة أو مصلحة شخصية، وعليه أن يكون رضيًا لا يتأفف كثيرًا ولا ييأس ولا يقنط، يرضى بما قسم الله له، صبورًا والصبر قال الشعراوي في المسائل التي تكون خارج إرادة الإنسان، وأما المسائل التي يمكن

دفعها بالأسباب يجب أن يعمل من أجل دفعها ولا يصبر عليها، كالذي يؤذى في عرضه أو دينه ويستطيع أن يدافع عن نفسه بالحسنى ولا يفعل.

عن عبدالله بن عمرو أن الرسول ﷺ قال في مجلس: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا)[1]، وعلى الداعية أن يسعى بكل جهده ويصبر ويصابر من أجل تحسين خلقه؛ لأن الدين خلق، وإن أساء الداعية الراحل خلقه أساء لنفسه ولدينه وسيكون فتنة للآخرين، وهذه الكلمات قليلة بهذا المجال وإني أدعو الراحلة لدراسة علم السلوك والأخلاق، والأخلاق جزء من النظام الإسلامي مثلها مثل العقائد والعبادات والمعاملات والحدود.

(1) صحيح ابن حبان، 486، ج2، ص463.

الجهاد في سبيل الله

ما من شيء أسيء فهمه في العصر الحديث مثل فهم التصور الإسلامي للجهاد في سبيل الله، وهنا تبدو مظلومية الإسلام الكبيرة التي أصيب بها من المسلمين والإسلاميين خاصة حيث أساءوا من حيث أرادوا الإحسان فأظهروا أن الإسلام دين دم ودمار وقتل وخراب، ولا مكان للمسلم غير القبر ولا احترام للمؤمن حتى بدا الإسلام وكأنه غول سيبلع غير المسلمين، وحال المسلمين وتكالب الغرب والاستعمار على الإسلام وأهله والكيد لدين محمد ﷺ والإساءة إليه مبرر أمام هذا الانحراف وسوء الفهم والعمل، فإن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا وصوابًا، خالص لوجه الله وصواب في تحقيق أهدافه وشريف في وسائله، فالغاية الشريفة لا تتحقق إلا بوسيلة شريفة. وانحراف الناس عن القيم والأخلاق ليس مبررًا للانحراف عن قيم الإسلام، والحروب والنزاعات هي أماكن للتمايز بين العقائد والمفاهيم، فصراعاتنا يجب أن تظهر أخلاقنا وتصوراتنا وعلينا أن نستغل هذه الظروف لنعرف الناس كيف، وكيف يتعامل المسلمون بمثل هذه الحالات، لكن للأسف الشديد غاب العقل عن كثير من الجماعات الإسلامية وتحكمت قلوبهم بعقولهم وقادتهم القلوب إلى العمل،

والعاطفة إن لم تكبحها قوة العقل قد يحدث دمارًا كبيرًا، والرشد في الإسلام هو قيادة العقل والقلب معًا، أما انفراد أحدهما فهو حياد عن جادة الصواب، وهذا ما حدث للأسف الشديد في كثير من الموقع حيث اندفع الشباب المسلم تقودهم العواطف فأساءوا من حيث أرادوا الإحسان.

ومظلومية النبي ﷺ بالرسوم المسيئة إلى شخصه الكريم كانت مثالاً على ذلك، وأعني الأعمال التي خرجت ناتجة عن العقل كردة فعل بالعالم لفتت أنظار العالم إليها وتناسوا الأساس، ردات فعل غير مدروسة بكثير من المواقف والأعمال وقد أعطت نفس النتيجة، وبهذه الفقرة سأتحدث عن سوء العرض وسوء العمل، في العمل الجهادي الذي أساء للإسلام والمسلمين ودمر أكثر مما عمر، وهدم أكثر مما بنى، وأنا أكتب من خلال فهمي للإسلام وتصوره للجهاد، وإني أجد ظلمًا شديدًا من قبل كثير من الإسلاميين، وأقصد هنا هؤلاء الذين يدعون أنهم إسلاميون، وذلك حتى لا نخلط بين من يستترون وراء الإسلام، وأساءوا فهمه بسبب قلة العلم به، وبين من تحلى بأخلاق الإسلام وفهمه على الوجه الصحيح وطبق شرائعه وقوانينه كما أمر بها الله، ومن أجل الخروج من هذه الأزمة ورفع الظلم عن الإسلام على هؤلاء الإسلاميين أن يرفعوا مستوى الوعي من خلال العلم وقراءة تصور الإسلام للجهاد والتوسع بفقه الجهاد ودراسته خصوصًا آراء العلماء في العصر الحديث لأنها توائم بين ثوابت الإسلام ومتطلبات العصر وتغيراته.

وأول المآخذ على كثير من الإسلاميين سوء العرض للجهاد وفقه الجهاد والتصور الإسلامي له، وإظهار الجهاد وكأنه متجرد من كل القيم الأخلاقية والإنسانية، وأقول لهؤلاء إن الجهاد ليس هكذا ولم نفهم الإسلام هكذا، يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: 216]، وأول ما يتبادر لذهن الإنسان أن القتل والاقتتال هو الأصل، لا، بل هو عارض من عوارض الحياة فرضتها الظروف الصعبة، وكأن الله يطلب منا كراهية القتال والقتل وعدم تمنيه؛ لأنه ليس الأصل ويؤكد هذه الحقيقة قول النبي ﷺ، عن أبي النضر قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ). ثم قام النبي ﷺ وقال: (اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)[1]، وحديث النبي ﷺ واضح وضوح الشمس بأن تكره ولا تتمنى القتال وضرب الأعناق، والقتال إذا فرض علينا المطلوب الثبات أمام العدو، أما إذا وقع يقاتل المسلم حتى إحدى الحسنيين (النصر أو الشهادة)، وان انتصر لا يقتل أسيرًا ولا يجهز على جريح إلا في حالات استثنائية

(1) 3276، ج9، ص169، عن كتاب رجل أسلم من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يقال له عبدالله بن أبي أوفى.

تتطلبها المصلحة الشرعية، ومع الأسرى يتم الإحسان إليهم ومعاملتهم بالحسنى والتقرب إلى الله بالإحسان إليهم وإطعامهم، وإما تقديهم بأسرى أو مال وإلا تمن عليهم.

ومن آداب القتال في الإسلام لا تقتل امرأة ولا شيخ ولا عابد ولا طفل ولا تقلع شجرة ولا يهدم بيت إلا للضرورة القصوى والحاجة الملحة، وإذا قتلت أحدا أثناء المعركة مطلوب أن تحسن القتل فلا تعذب ولا تمثل في القتل، وأحاديث الرسول ﷺ حافلة بهذه التعاليم، والإرهاب في الحرب ليس لكل الناس وإنما للمقاتل ومن ينوي قتالك، هناك سياج كبير من الأخلاق يفرضه الإسلام على المجاهدين ويحرم تجاوزها، هناك أهداف ومبادئ عامة للقتال، وهناك آداب وقواعد وأحكام له، ولا بد أن أشير في هذا المقام إلى أن الأمة الإسلامية إذا تخلت عن توجيه الله لها وتوجيه رسوله الكريم ﷺ فقد تخلت عن سبب النصر الوحيد الذي تركن إليه، وقوانين الحرب يجب احترامها التي جاءت من أجل تخفيف القتل والاقتتال، والإسلام يتفق مع كل من يدعو إلى توسيع دائرة الاستثناء في الحرب، ويجب التفريق بين حرب الدفاع وحرب الهجوم بالأحكام ومراعاة مسلكيات المجاهدين في حالات القوة وحالات الضعف.

فالقتال الهجومي في حالة الضعف له فقهه، وفي حالة القوة له فقهه، والتصرف في حالة الضعف ليس كما في حالة القوة، وهذه الحالات ليس لها اعتبار في حالة الدفاع؛ لأن فرض العين يدفع بكل الإمكانيات مهما

قلت وهذه المسألة بحاجة لفقه واسع، وإساءة الفهم إساءة للإسلام ومفسدة لا تحتمل وضررها قد يكون عاما على الجميع مثلما يحدث الآن في كثير من المواقع الإسلامية التي تعلن الحروب على قوى عظمى وهي لا تملك من الإمكانيات المادية شيئًا وتسيء الفهم من جانب آخر بقوة الإيمان، وهذا فهم خاطئ يسيء للإسلام ومفاهيمه وتصوراته لقوانين الدنيا والآخرة، وتغيب عن بال كثير من الإسلاميين حساب الظروف الدولية والإقليمية، والرأي العام العالمي الذي ينقلب ضدها، هناك الكثير من المسلكيات أساءت وأضرت بالإسلاميين ولقضايانا بسبب سوء عرضها واستخدامها وهي ليست من الثوابت وممارساتها تخضع للمصلحة، ومنها مختلف في شرعيتها مثل التمثيل بالجثث، فقد أساء هذا السلوك للإسلام وحرض الرأي العام العالمي على الإسلام، والتمثيل في الإسلام محرم كما ورد في كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وهناك من أجازه في حالات الضرورة، وهذا الرأي حسب فهمي لأقوال العلماء أنه ضعيف، وسلوك النبي ﷺ والخلفاء الراشدين يؤكد حقيقة أن التمثيل محرم، والنبي ﷺ عندما رأى جثة حمزة رضي الله عنه ممثل بها أقسم أنه سيمثل بسبعين رجلاً من المشركين، والقرآن نزل بنفس الخطة يسمح للنبي ﷺ بذلك، لكن هذا الحكم نسخه القرآن بآية أخرى كما قال العلماء بسورة النحل وكان النسخ بنفس السورة. قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ

لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: 126]، قال العلماء: بتفسير هذه السورة، إن هذه الآية نسخت ما قبلها وهي الآية، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: 126].

حتى العلماء الذين أجازوا قالوا إن الله تعالى انتدب الأفضل وهو (الصبر)، وهكذا كان فعل النبي ﷺ أنه لم يمثل في القتل، وكذلك الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم الذين أمرنا أن نقتدي بهم لم يمثلوا بالقتل، وقصة أبي بكر مع قادته بمعارك المسلمين مع الفرس دليل واضح، ففي أحد المعارك مع الفرس، كانوا إذا قتلوا قائدًا من قادة المسلمين قطعوا رأسه وأخذوه بصندوق لكسرى، ففعل المسلمون ذلك ووضعوا رأس أحد القادة الفرس بصندوق وحملوه إلى أبو بكر رضي الله عنه، وعندما رأى ما بداخل الصندوق غضب غضبًا شديدًا، فقالوا له: يفعلون بنا هكذا، فكان رده واضحًا حيث قال: آستتان بفارس والروم؟! أتسوون أخلاقنا بأخلاقهم؟! وهذا يعطينا درس واضح بأنك وأنت قوي ترفض ذلك؛ لأنه يسيء للإسلام ويجرد المجاهدين من الأخلاق وليس مبرر انحراف العدو لك بأن تنحرف، في مثل هذه الحالات يجب أن تظهر أخلاق المسلمين وسلوك المجاهدين، واليوم هذا السلوك ترفضه البشرية والطبيعة الإنسانية، فكيف يسلكه بعض الإسلاميين؟! لقد أساءوا كثيرًا إلى الإسلام،

ولا نقول لا يهمنا الناس لأن هذا خطأ، نحن بحاجة لعرض الإسلام وإظهار محاسنه إلى الناس حتى يرغبوا فيه ويتبنوا قضايانا.

والنبي ﷺ عندما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقتل رأس المنافقين عبدالله بن سلول قال له النبي ﷺ: أتريد أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، لم يقل له حرام أو لا يجوز، بل قال له: إن الناس ستتحدث عني بأني أقتل أصحابي، فالرأي العام يجب أن يؤخذ بالحسبان، واليوم ما من صراع ولا من معركة ستحسم لصالحك إلا إذا أخذت بعين الاعتبار الرأي العام العالمي، والأستاذ هيكل في كتاب (أحاديث آسيا) الذي يضع مجموعة من القواعد الكبرى لإدارة أي صراع بحيث إذا لم تأخذ بعين الاعتبار لا يمكن لك بأن تنتصر مهما كانت إمكانياتك، منها إقناع الرأي العام العالمي بعدالة قضيتك، وإني أنصح كل قارئ بأن يقرأ هذا الكتاب (أحاديث في آسيا) للأستاذ محمد حسنين هيكل.

إن السلوك العاطفي أساء لنا كثيرًا وعلى المقاتلين أن لا يتعاملوا بردات فعل، فالنتائج كثيرا ما تأتي عكس ما نشتهي، والعراق شاهد كبير على سوء سلوك المقاومين هناك من الإسلاميين والوطنيين إلا من رحم ربي، هناك قيم أخلاقية علينا أن لا نتخطاها مهما كانت الأسباب ونحن الخاسرون حتى لو مارسها الأعداء وانحراف العدو ليس مبررًا لانحرافنا، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، ولَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ

تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلا تَظْلِمُوا)[1]، والحديث واضح بان تستقيم مهما كانت الأسباب والظروف، وعلينا أن نفرق بين الجيوش والحكومات والشعوب، في الحرب ليس الكل يقتل حتى لو كان من الأعداء، وذكر أن النبي ﷺ وجد امرأة مقتولة في إحدى الغزوات قال: ما كانت هذه لتقاتل أو تقتل، أو كما قال: لا يقاتل إلا المقاتل، لا يقتل الطفل ولا المرأة ولا المسن ولا العابد في صومعته أديرة، وما دخل الناس في الشوارع والأسواق والكنائس والمساجد، ونحن لم نفهم الترس في الإسلام، هكذا من أجل أن نقتل عدة جنود نحصد مئات الأرواح من الأبرياء، والأبرياء ليسوا فقط المسلمين، والإسلام لم يأت بالقتل لغير المسلمين، والترس الذي أجازه العلماء هو، إذا تحصن العدو بمكان وتمترس بالمسلمين وكانت المعركة مصيرية أجازوا قتل المسلمين مع الكفار بشروط، وعلينا أن نراجع (فقه الترس بفقه الجهاد) ونفهمه جيدًا، وكتب الفقه مليئة بذلك، والجهاد بكل موقع له أحكامه وخصوصياته، والعقاب بالمثل له شروطه وأحكامه وأخلاقه سيما إن تجرد العدو من الأخلاق والقيم الإسلامية، فهذا ليس مبررًا للمسلم أن يتجاوز السياج الأخلاقي الذي أحاط الإسلام به الحرب، وسلوك كثير من الجماعات تجاوز الدائرة الشرعية بهذا الجانب. إن الرسول ﷺ لم يأت بالقتل للناس ورسالته ليست رسالة دمار وخراب،

(1) 62، ج1، ص226، باب ما جاء في الإحسان والعفو 345-2092، سنن الترمذي، ضعيف نقد الكتاني، 26 المشكاة 5129، ضعيف الجامع الصغير 6271، حديث حسن غريب.

إنه رحمة للعالمين وليس فقط للمسلمين، ورحمة لخلق الله من إنسان وحيوان ونبات وجماد، لقد نهى عن قتل الحيوان عبثا، وطلب الإحسان إليه أثناء الذبح ونهى عن قطع الشجر بلا حاجة وضرورة، عن عبدالله ابن حبشي قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ)[1]. وعندما سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث قال: هذا الحديث مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثًا وظلمًا بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار، والسدرة هي الشجرة البرية، فكيف به مع الإنسان الذي كرمه الله تعالى والذي جاء مخصوصًا لإنقاذه من ظلم الجاهلية والكفر، إن الرسول ﷺ كان إمام المجاهدين وأشجع الناس في الحرب وكان دائمًا في مقدمة الصف يفر الناس وهو يثبت، يتراجع الناس وهو يتقدم، يقول الإمام علي رضي الله عنه: كنا إذا حمىء الوطيس _أي اشتد القتال_ نحتمي برسول الله ﷺ، هذا النبي العظيم إمام المجاهدين، في حياته كلها لم يقتل رجلاً واحدًا من الكفار وقتله تأكيدًا لعقيدة، حيث وعد أبي بن خلف بقتل الرسول ﷺ بمظهر تحدٍ أمام الناس، فقال له الرسول ﷺ: بل أنا قاتلك، وبعد سنين التقى رسول الله ﷺ به في المعركة، وفي نهايتها رماه الرسول ﷺ بسهم فجرحه جرحًا بسيطًا في فخذه، فقال: قتلني، ثم: لو بصق علي محمد

(1) سنن أبو داوود 5239، ج11، ص239، صحيح، تحقيق الألباني.

لقتلني. مات بعد أن قال رسول الله ﷺ لم يقتل إلا رجلاً واحدًا، ماذا نفهم من هذا الأمر؟ إنه لم يأتِ للناس بالذبح بل جاء رحمة بهم، وقتاله كان لردع الظالمين والدفاع عن حوزة الأمة ورد أي اعتداء خارجي أو أي حائل يقف في سبيل إيصال رسالة السماء للناس، لقد جاء ليدافع عن المظلومين حتى لو كانوا كفارًا، إن كثيرًا من البلاد دانت للمسلمين وفتحت بأخلاق المسلمين ولمجاهدين؛ لأن الناس لم تفهم أن المسلمين لم يأتوا بالذبح للناس، بل وجدوا التسامح والاحتضان وتبني هموم الناس وقضاء حوائجهم والمحافظة على أديانهم ومعتقداتهم. أبو البحتري رجل مشرك شارك في تمزيق الصحيفة التي فرضت من خلالها مقاطعة الرسول ﷺ في شعب أبي طالب، وفي معركة بدر يخرج أبو البحتري يقاتل مع المشركين ضد الرسول ﷺ ويعلم الرسول ﷺ بذلك ويقول للصحابة: الذي يلقى أبو البحتري لا يقتله، انظر إلى هذا التسامح العظيم، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، خرج ليقاتل رسول الله ﷺ، ومن أجل موقف وقف فيه إلى جانب تمزيق الصحيفة يقول ﷺ لا تقتلوه، أي خلق وأي دين هذا الذي جاء به النبي ﷺ؟ ونرى اليوم للأمة سلوكًا غريبًا جدًا، شعوبا تخرج لتقف هنا وتمزق صور حكامها وتعادي من عادانا وتتجند للدفاع عن قضيتنا ونقابلها بالقتل والتفجير والترويع كما حدث في بعض البلاد الأوروبية، وكأن الأمة لا عهد لهم ولا ذمة ولا ضمير، لقد أخطأ من فعل ذلك، ولا يكفي الإخلاص، وحب الله ليس مبررًا للتعاطف مع

قضايا المسلمين وفعل ذلك، ونحن نتأول لهؤلاء المقاتلين بالجهل أنهم يجهلون قيم الإسلام، وهذه هي أزمة الفهم التي تحدث عنها العلماء، نحن بحاجة لأن نفهم الإسلام جيدًا، الإسلام يحفظ العهد ولا ينسى الجميل ويلتزم بالشروط، والمؤمنون عند شروطهم.

أنت دخلت هذا البلد بإذن أهله فكيف تفعل ذلك بعد أن أحسنوا الظن بك؟ ليس هناك مبرر، يقول أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة في كتاب الخراج بما معناه: أن المسلم لو دخل دار الكفر بإذن وهؤلاء الكفار بمكان آخر غدروا بالمسلمين أو أسروا منهم، لا يجوز لك أن تغدر بهم في دارهم بعد أن دخلت بإذنهم، ولا يجوز لك أن تأسر منهم من أجل أن تطلق سراح أسراك. هذه القيم وهذه الأخلاق علينا أن لا نتجاوزها مهما كانت الأسباب حتى لو استغلها العدو لمصلحته، وهذه مصالح سماها العلماء بالتقاطع وليس بالتوافق، يستفيد منها العدو أحيانا لكنها تفيد الإسلام على المدى البعيد، ونحن ما زلنا ندفع ثمن السلوك الخاطئ للمسلمين من قبل مئات السنين لأن رسالتنا رسالة أخلاقية وحربنا حرب أخلاقية نتمايز بها عن العدو بالأخلاق، علينا أن لا نغدر ونوفي بالعهد، عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال: (لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: أَحَدُهُمَا يُنْصَبُ، وَقَالَ: الْآخَرُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ)[1]، ويقول: صفات المنافق ثلاث منها

(1) البخاري، 2949، ج10، ص458.

إذا عاهد غدر، والأجنبي السائح الذي يأتي الى بلاد المسلمين من أجل أن يتعرف على بلادنا، ترى ما دخله بخلافاتنا الداخلية وما دخله بالحروب؟ كيف يقتل ويخطف وهو داخل بإذن المسلمين، نحن نعارض هذه الأنظمة المجرمة، لكن كثير من الأجانب لا دخل لهم بذلك وحتى منهم لا يعرفون ذلك، وهذا السلوك ماذا يجلب نفعًا للمسلمين؟ أي مصلحة جلبت وأي معزة دفعت بقتل سائح زائر، حتى لو افترض البعض خطأ جواز ذلك؟ ليس كل مباح مسموحًا العمل به حتى ليس كل واجب مسموحًا العمل به إذا ترتب عليه مفسدة أكبر منه، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، يقول الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي رحمه الله تعليقًا على قتل السياح في الجزائر ومصر: (هؤلاء دخلوا بإذن المسلمين ولا دخل لهم بخلافاتنا ونحن طلاب حرية، لا نطلب حريتنا بقتل الأبرياء وظلم الحكام وفسادهم والضغط على الإسلام ليس مبررًا لذلك).

نحن بحاجة لفهم الإسلام حتى لا نسيء اليه، ومطلوب منا التمسك بقيم الإسلام مهما كانت النتائج؛ لأن الحق يظهر نفعه دائمًا بعد حين، وبالوعي والعلم والفقه والتوسع به يتم تجاوز هذه الإشكالية التي أضرت بالإسلام وأهله، علينا أن نقرأ ونتوسع بالعلم، كلما قرأنا زاد فهمنا وتجاوزنا أزمتنا الكبيرة، يقول الإمام علي رضي الله عنه: (قصم ظهر الإسلام جاهل متنسك وهو العابد الجاهل)، لا يكفي الإخلاص ولا يكفي حب الله ورسوله والتعاطف مع المسلمين ولا الحرقة على الإسلام، وحب التضحية

والاستعداد الكامل لها والقيام والصيام وشدة الطاعات بل لا بد من الاستقامة في الوسيلة ولا بد من الصوابية في العمل، ولا بد من العلم حتى لا يخطىء المرء من حيث أراد أن يصيب. عن أبي إمامة الباهلي قال: ذكر لرسول ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال: (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ)، ثم قال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ)[1]، لماذا العالم؟. ولماذا ليس العابد؟ لأن العابد عن جهل مهما بلغت عبادته إن أخطأ في العمل وعمل بلا علم سيضر أكثر مما ينفع، فهو يملك طاقة هائلة لا يحسن التصرف بها وتصويبها بالاتجاه الصحيح.

(1) الترمذي، 2609، ج9، ص299. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.

الرواحل بين الربانية والواقع

إن فساد الزمان وتغير أحوال الناس يفرض على الداعية المؤمن تحمل مسؤولياته وإصلاح ما فسد قدر المستطاع، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] ولا ييأس مهما ساءت الظروف وتغيرت أحوال الناس من سيء إلى أسوأ منه، فهو الغريب الذي تحدث عنه النبي ﷺ أنه سيصلح إذا فسد الزمان وسيبقى صالحًا ولا تغيره الأحوال، وجزاؤه الفوز بالدنيا والآخرة، وأنه سيكون رديف رسول الله ﷺ في الجنة، فهو الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه أخوه عندما قال بالحديث الذي يروى عنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى مقبرة فقال: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ، مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ، أَلا هَلُمَّ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ:

سُحقًا، سُحقًا).[1]، هذه الآثار تدفع الراحلة لأن يثبت على دينه ويحمله رغم الصعاب والمشاق ويقدم الغالي والنفيس من أجل دينه وربه، هذه الحالة التي ينبغي للراحلة المؤمن أن يكون عليها، يعمل ولا ييأس، يبذل الجهد ولا يقنط حتى لو ضيق عليه وعاش في مجتمعه كأنه غريب مذموم مدحور من الناس، يقدم لهم الخير وينظر إليهم نظرة المشفق الحاني، ويؤثر فيهم ويعطيهم الخير، يعيش بجسده بينهم ويحلق في مكان آخر بروحه، وهذه العزلة الشعورية التي تحدث عنها سيد قطب رحمه الله، ولا يعتزل المجتمع حتى لا يخلو من الخير، ويبقى للمفسدين في الأرض يعيثون فيها فسادا دون رقيب أو كلمة حق تقال لهم، وهذه هي الربانية التي يبغيها الله في حال المؤمن الراحلة، ويتخلق الراحلة المؤمن بأخلاق الله بأن يصل إلى مرحلة يعطي الناس الخير ولا ينتظر منهم الجزاء، بل أعلى من ذلك يعطيهم الخير ويأخذ منهم الشر وذلك بالقضاء عليه، ولا يبالي لأنه يعمل مع الله والتجارة مع الله لن تبور، فإذا ما عاش الداعية المسلم هذه الحالة لا شك بأن بذرته مهما قست الأرض ستنبت شجرة طيبة ثابتة وستثمر بإذن الله وتؤتي أكلها في كل حين لأنها برعاية الله، وللأسف الشديد أن كثيرًا من دعاة اليوم ضيق الصدر وكثير اليأس والقنوط من الناس، وهذا إن أصلح كان صلاحه لنفسه فقط، وربما يحمل

(1) صحيح مسلم، 367، ج2، ص53.

وزرا لأن مسؤوليته تعتبر هنا مسؤولية جماعية وهو مأمور بالمعروف والنهي عن المنكر قدر الإمكان وقدر الاستطاعة، والنبي ﷺ يقول: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)[1].

وهذا الحديث يدعو الراحلة المسلم خاصة بأن يبقى بين الناس ويخالطهم مهما ساء الحال، ويعمل على إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع والدولة بكل الإمكانيات ولا يقنط حتى لو لم يحالفه النجاح، فربما يزرع هو ويحصد غيره، فهو يعمل مع الله، والله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، ويوم الحساب لا يسأل الله المؤمن، لماذا لم تنتصر ولماذا لم تنجح وإنما سيكون السؤال، لماذا لم تعمل، والله أعلم.

على الداعية أن يصبر ويصابر ويرابط ويتحمل المشقات؛ لأن الإسلام مظلوم، وعليه أن لا يقدم مظلومية على مظلومية الإسلام، الإسلام بحاجة للدفاع والذود عنه والتضحية من أجله، وهذا الحرص المطلوب من الداعية أن يتحلى به داخل مجتمعه، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6]، يعني قاتل نفسك من أجل أن يسلموا، هؤلاء كفار، فكيف إذا كانوا مسلمين منحرفين عن إسلامهم،

(1) الألباني 939، الصحيحة، ج2، ص614 (صحيح).

هم أولى من غيرهم بأن نحرص على تصحيح إيمانهم وإسلامهم، ونبذل الجهد الكبير من أجل ذلك، ومن جهة أخرى هم مسؤولية في أعناق الدعاة، فهؤلاء يتأول لهم بالجهل والداعية لا يتأول له ولا عذر له؛ لأنه يعلم الخير ولا يعلمه للناس، والعلم الشرعي حجة على من يعلم به ولا يعلّمه، والنصيحة واجب من المؤمن نحو إخوانه. عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ)[1] إذًا النصيحة واجبة وهي حق من حقوق المسلم على أخيه، إن الله تكفل بحفظ هذا الدين بأوليائه وجنود الحق، وهذه الغربة لن تزول عن الإسلام ولن تعود إلا بالمؤمنين الرواحل الذين يصبرون ويسيرون رغم الصعاب ويقدمون أغلى ما يملكون من أجل نصرة هذا الدين وإقامة دولة الإسلام ودولة الخلافة.

(1) صحيح مسلم، 82، ج1، ص181.

الرواحل بين الدعاة والعلماء

إن من إشكاليات المشروع الإسلامي في العصر الحديث ومن نقاط ضعفه عدم تمييز العاملين للإسلام بين الدعاة والعلماء، وهذه آفة خطيرة لها نتائج مأساوية على العالم الإسلامي وأثرت سلبًا على مشروع الصحوة الإسلامية، ومرد هذه الظاهرة ضعف الوعي لدى الجمهور العام للحكمة الإسلامية وقلة العلم وسوء التوجيه، والتركيز على الشكل على حساب الجوهر، ومن أهم الأسباب قلة الزاد في العلوم الشرعية، فالذي يجهل ولا يتفقه في الدين ويرفض الاطلاع على آراء العلماء والفقهاء في كثير من المسائل الشرعية، ومنها شروط العالم والمجتهد ومن هو الداعية، لن يفرق بين الداعية والعالم، ولأن العاطفة في الغالب هي التي تقود هذا الرجل ستكون استجابته للشعارات والخطاب العاطفي على حساب الخطاب الهادي الذي ينطلق من عمق الفكرة ومن أرضية صلبة، وهذا ليس إنكارا و تبخيسا لجانب العاطفة فهي قرينة العقل ومكملة له، ولأن الدعاة هم الذين يتصدرون المنابر ويخاطبون العامة من خلال الوعظ والإرشاد.

كان توجه الشباب المسلم تجاه الدعاة أكثر منه تجاه العلماء وهذا ليس خطأ، فالدعاة هم تلاميذ العلماء وغالبًا ما يكونون أداة التواصل بين جمهور الناس والعلماء، ولكل دوره في العمل الإسلامي، لكن الاعتقاد بأن الدعاة هم العلماء وإهمال رأي العلماء سيما في القضايا الكبرى فهذا هو الخطأ، وهنا تكمن المعضلة حيث يؤخذ برأي الدعاة بغير اختصاصهم، والمثال الأوضح على هذه المعضلة ما حدث بين الدعاة وبين العلماء بمظلومية النبي ﷺ حيث تجاوز بعض الدعاة أمثال الإخوة الأحباب عمرو خالد وطارق سويدان إجماع العلماء بمقاطعة الدنمارك وذهبوا إلى هناك مما أدى إلى تمييع الموقف واختلاط الأمر على الناس، وظهر وكأن المسلمين لم يتفقوا على موقف موحد وأن المسألة مبالغ فيها ولكل رأيه، لكن الأخطر في هذه القضية أن إشكالية التفريق بين الدعاة والعلماء ظهرت واضحة وجلية في هذه المسألة، فمن الناس من اعتبر رأي عمرو خالد وطارق سويدان هو الأصوب حتى وصل الحد بأحد المشاهدين وهو بروفسور مسلم ذو تخصص معين حيث قال على شاشات التلفاز: من هو القرضاوي أمام هؤلاء العلماء الكبار؟ ويعني الأخوين عمرو خالد وطارق سويدان، وموقفه هذا يعطي مثلاً جليًا عن هذه الإشكالية فهو يجهل من هؤلاء ومن هؤلاء، ويعبر هذا الموقف عن ظاهرة عامة بين جمهور الحركة الإسلامية، وهذه الظاهرة والمعضلة لا يمكن تجاوزها إلا برفع مستوى الوعي الإسلامي لدى الشباب المسلم بالعلم الشرعي وبالقراءة

والتوسع في فهم المعايير الإسلامية ومنه التمييز بين الدعاة والعلماء، إن الدعاة لهم دور كبير بإصلاح المجتمع والصحوة الإسلامية وبخدمة الإسلام، ومجال عمل الدعاة واسع جدًا، وهذا الاختصاص يمكن أن يعمل فيه كثير من الناس، ومتطلباته الشرعية سهلة المنال لمن أراد أن يعمل بمجال الدعوة، والدعاة مراتب منهم الأستاذ وغير المتخصص والدكتور وغير ذلك، وعندما نقول يجب التفريق بين الدعاة والعلماء ليس هضما لحق الدعاة بل من أجل إعطاء كل ذي حق حقه.

فالدعاة مجالهم الدعوة والإرشاد وتصحيح المفاهيم وتحبيب الناس وترغيبهم في الدين والاختلاط اليومي بالناس وتبني همومهم وآلامهم، وتقريب الناس من الإسلام وإصلاح الفاسد وتشجيع الصالح والثناء عليه وأمثال ذلك، وهذا أيضا جزء من دور العلماء، ويشترك الطرفان في ذات المسؤولية، لكن لطبيعة عمل الدعاة يكون مجال تحرك الداعية أوسع والطريق عليه أسهل سيما إن كثيرًا من العلماء الثقات يضيق عليهم من الأنظمة الفاسدة في الحركة والظهور على شاشات الإعلام واستخدام وسائل الاتصال نتيجة مواقفهم من القضايا الكبرى من أجل ذلك يرى الناس الدعاة أكثر من العلماء، ومن أجل الإنصاف هناك كثير من الدعاة يضيق عليهم الطريق ويوضعون في السجون ويحرمون من الاتصال بالناس، والعلماء دورهم الاجتهاد وتحديد موقف المسلمين من القضايا الكبرى وتوجيه الصحوة الإسلامية وإرشادها، فهم أعلى مرتبة من الدعاة

في العلم الشرعي، لذلك يجب أن يؤخذ رأي العلماء سيما في القضايا الكبرى والمسائل التي تهم عامة المسلمين، ونستند إلى رأيهم في المسائل الشرعية الحاسمة وموقف الإسلام منها.

علينا أن نتجاوز هذه الأزمة ونعطي العلماء حقهم ومكانتهم ونقف الموقف الذي يمليه علينا شرعنا الإسلامي دون الانتصار لمذهب أو هوى أو رأي بلا دليل "انتصار للحق"، الدعاة لهم مكانتهم والعلماء كذلك، وعلى كل مسلم أن يعطي كل ذي حق حقه، وأما كيف يعرف العلماء؟ فهذا يفرض على المسلم العودة للشروط التي وضعها سلف الأمة وعلماؤها من خلال قراءة العلوم الشرعية ومعرفة شروط الاجتهاد، كتب الفقه وعلم الأصول تحوي مثل هذه الموضوعات، ومن هذه الشروط حسب فهمي لما قرأت وما سمعت، أن يكون واسع العلم الشرعي من علم اللغة وعلوم القران وعلوم الحديث، ولديه القدرة على الاجتهاد وله آراء وكتابات ويعرف بها بين العلماء والدعاة، ويشهد له أهل العصر من العلماء بعلمه، ومن شروط العلم كذلك أن يكون بحرًا في علم الفقه وإنتاجات علماء الأمة على مدى الزمان، ولا يشترط الإلمام الكامل بكل شيء، ولكن يجب أن يكون حظه من كل علم حظًا واسعًا، وأهمها القدرة على الاجتهاد والاستنباط، فليس الحفظ للعلوم عالمًا، ولكنه ناقل للعلم، وإنما العالم هو الذي يملك القدرة على استنباط الحكم الشرعي مستندًا إلى القواعد

الشرعية المعروفة سواء كانت متفقًا عليها أو مختلفًا فيها. والكتب في هذا الموضوع كثيرة مثل:

1. الاجتهاد بتحقيق المناط وسلطانه للدكتور عبد الرحمن زيدي.
2. الاجتهاد المعاصر للقرضاوي.
3. الاجتهاد لنادية العمري.

إخلاص العمل مع الله

الله سبحانه وتعالى غني ولا يقبل أن يشرك في عمله أحد، فلو أن أهل الأرض كانوا على أتقى قلب رجل فيهم ما زاد ذلك في ملك الله شيء، فهو المالك لكل شيء وبيده كل شيء، لذلك فهو لا يقبل أي عمل يشرك فيه غيره، لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه، والإخلاص كما قال العلماء: أن تتجرد النفس من كل البواعث إلا باعث الإيمان، فأنت عندما تقوم بعمل هناك باعث في نفسك يدفعك للعمل والقيام به، وهذا الباعث قد يتعدد في النفس وقد ينفرد، فمثلاً إذا أراد الطالب الدراسة للامتحان النهائي فالذي يدفعه للدراسة قد يكون النجاح، وقد تتعدد الدوافع خوفًا من الفشل وإكرامًا للوالدين أو من أجل جائزة ستمنح له إذا تخرج، أو قد يكون التنافس مع الأصدقاء حتى لا يبدو فاشلاً أمام نجاحهم وغير ذلك، ولله المثل الأعلى، بالعمل معه يريد أن تتجرد من كل البواعث في نفس الإنسان إلا باعث الإيمان وهو العمل من أجل الله، والعمل مع الله تتعدد بواعث نفس الإنسان فيه؛ لأن الشيطان يكيد للإنسان ويقف له في كل مرصد حتى يفسد عليه عمله ويحبطه ولا يقبله الله، وبواعث النفس كثيرة بالعمل مع الله، من حب الظهور والرغبة في الثناء، وجلب محمدة الناس

ودفع مذمتهم، مثال الذي يتصدق بصدقة، كيف تتعدد البواعث في النفس ويدخل الشرك في العمل؟ قد ينفق رجل ماله حتى يقول عنه الناس إنه كريم وإنه جواد، وبذلك يحصل على الثناء من الناس، ثم يقول أنفق في سبيل الله هذه الصدقة، فهذا العمل مردود ومشرك به؛ لأنه أنفق من أجل أن يقال عنه إنه منفق وكريم، لذلك يقول أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)[1].

(1) صحيح مسلم، 3534.

وذلك لأنهم تعددت بواعثهم في النفس ولم يكن عملهم خالصًا لله تعالى، فيؤتى بحافظ القرآن ويقول له الله: لماذا حفظت القرآن؟ يقول: لوجهك يا الله، يقول رب العزة: كذبت، بل حفظت من أجل أن يقال عنك إنك حافظ قرآن، خذوه إلى النار، ويؤتى بالشهيد، فيقول الله: لماذا قتلت؟ يقول: قتلت في سبيلك يا الله، فيقول رب العزة: كذبت، بل من أجل أن يقال عنك إنك شجاع وبطل ومقاتل، فيقول رب العزة: اذهبوا به إلى النار، وكذلك المنفق الذي أنفق ماله من أجل أن يقول عنه الناس إنه منفق وكريم وجواد، والعالم الذي تعلم العلم من أجل أن يقال عنه إنه عالم ومثقف ويشار إليه في المجالس من قبل الناس، هذا المعنى أي معنى الحديث الذي ذكرناه يبين حقيقة الإخلاص ومعناه وكيف يقع الإنسان بالشرك ويخلط بالنية. إذًا الإخلاص هو أن تجرد نفسك من كل البواعث إلا باعث العمل من أجل الله، فالله سبحانه وتعالى لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه تعالى ولا يشرك الإنسان مع الله أحدًا، فالذي يعمل مع الله لا يدفعه ولا يحركه للعمل إلا وجه الله لا طلبًا لجاه ولا سلطان ولا طمعًا بما في أيدي الناس، والإخلاص صعب على النفس وطلبه غاية لا يدركها إلا من رضي الله عنه، وعلى المؤمن أن يعمل ولا يتردد في العمل ولا يمنعه الخوف من ضعف الإخلاص ولا يحجم عن العمل، فهذا رياء مذموم، الخوف من الناس رياء والله لا يقبله، والعمل من أجل الثناء شرك، فأنت تعمل وتسأل الله الإخلاص ولا تتردد في العمل المطلوب منك، والمطلوب

أن لا يدفعك للعمل حب الشهرة وثناء الناس أو الوصول إلى منزلة أو مرتبة عند الناس؛ لأنه إذا حدث ذلك بعد أن تعمل قال العلماء لا بأس في ذلك، لكن المهم فيه أن تكون النية والإخلاص منذ البداية لله تعالى، فأنت لا تنفق مالاً من أجل أن يقال عنك إنك كريم، وإن حدث وأثنوا الناس عليك لا يغير ذلك شيئًا في نفسك ما دمت مخلصًا لله وقلبك على حالته الأولى وهي عملك لوجه الله ويستوي عندك أن يقال عنك أو لا يقال، وقد قال بعض العلماء: الإخلاص أن تستوي في نفسك المحمدة والمذمة، فلا يهمك إن مدحوك أو ذموك فأنت تعمل في كل الأحوال وتتصدق؛ لأنك تعمل لوجه الله لا من أجل الناس. سيدنا أبو بكر رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة، وعندما حدثت حادثة الإفك واتهمت أمنا عائشة رضي الله عنها، كان مسطح من الذين تحدثوا بالقصة وقد أقيم عليه الحد، وعندما علم أبو بكر بذلك قطع عنه النفقة، فأنزل الله قرآنًا يتلى على سيدنا محمد ﷺ يقول ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22] وتفسيرها بأن لا يقطع الصدقة؛ لأنه يعمل لله ،أي أبو بكر، فعاد أبو بكر وأعطى الصدقة لمسطح وضاعفها، لماذا؟. لأنه يعمل مع الله ولا يعمل من أجل الناس، ينفق لله سواء أحسنوا إليه أو أساؤوا له أو ذموه أو مدحوه، هذه الحالة التي نبغي أن يبقى عليها الراحلة

المؤمن حتى يحقق الإخلاص، فالمجاهد لا يقاتل حتى يقال له شجاع ويفاخر بسلاحه بين الناس ولا من أجل أن ينال منزلة دنيوية، بل يعمل من أجل الله وفي سبيله.

والإسرار بالعمل وإخفاؤه عن أعين الناس يقرب المرء من الإخلاص لذلك كانت الصدقة في السر أفضل من العلانية؛ لأنها أبعد عن أعين الناس، فإذا ما تصدق بصدقة أو قام بعمل كانت شماله لا تعلم بما تعمل يمينه، وهذا ما عناه الرسول ﷺ بحديثه إذا أنفق بيمينه لا تعلم شماله.

على الراحلة المسلم أن يتحرى الإخلاص في العمل ويدفع عن نفسه حب الذات وحب الثناء من الناس حتى يتحقق الإخلاص، والدعاة بأمس الحاجة لإخلاص النية في العمل مع الله لأنهم يعملون مع الله، والمصيبة الكبرى إن وقع الشرك بالعمل مع الله، فإن الرجل مهما بلغ من القوة وملك من الإمكانيات إذا كان ضعيف الإخلاص أضعفه الله وأحبط عمله، وكان جهده هباء منثورا، والرجل المؤمن مهما بلغ من الضعف وقلة الإمكانات إذا أخلص العمل لله قواه ونصره بفضل إخلاصه، وكلما كان الداعية قريبًا من الإخلاص كان قريبًا من الله، وكلما كان بعيدًا من الإخلاص كان بعيدًا عن الله، وقصة أصحاب الغار الذين انسدت عليهم بوابة الغار بصخرة كبيرة وكانوا ثلاثة رجال قال أحدهم: علينا أن ندعو الله بأخلص عمل قمنا به ولا يعلمه إلا الله حتى يفرج الله عنا هذا الكرب، فدعا الأول بدعاء وانفرج شيء من الصخرة، ثم دعا الثاني، ثم الثالث

فانزلقت الصخرة عن الباب، وهذه القصة مشهورة والعبرة من هذه القصة أنها تعطي برهانا لنتائج الإخلاص وثمراته إن نحن أحسنا الإخلاص، ومن أجل إدراك حقيقة الإخلاص والوصول إليه على الراحلة أن يزداد من علم الأخلاق والسلوك، ويجد ذلك في كتب التزكية مثل "المستخلص في تزكية الأنفس" و"تهذيب مدارج السالكين" لابن القيم، وكتاب "الإخلاص" للشيخ يوسف القرضاوي، وغيرها من الكتب القيمة التي تملأ المكتبات ولا تجد من يقرأها، وبالقراءة والعلم ندرك ما نريد.

الرواحل والجسم السوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)[1]، هذا الحديث وغيره يعطي للمؤمن التصور الإسلامي للجسد الإسلامي ولجسد المؤمن كما يريده الله وعلى أي حال ينبغي أن يكون، وقد عرف الشيخ القرضاوي سيرة النبي ﷺ بأنها تصنع المسلم صاحب العقل الذكي والقلب النقي والجسم السوي، والقوة المقصودة في حديث الرسول ﷺ تشمل كل ضروب القوة، منها قوة العقيدة والإيمان وقوة الروح المعنوية، ومنها قوة الجسد وغيرها من ضروب القوة، فحتى نحقق مفهوم القوة على الداعية المسلم والراحلة أن يكون ذا جسم سوي وقوي قادر على تحمل المشاق، ومنيع من الداخل خالٍ من الأمراض، ويتحقق ذلك بالابتعاد عن الآفات الصحية التي تضعف الجسم وأهمها التدخين، فإنه سرطان ينخر الجسد السوي ويعمل على تآكله وإضعافه، والإسراع

(1) صحيح مسلم، 4816، ج13، ص142.

في هرمه، وينطبق ذلك أيضًا على كل ما يضر الجسد من مأكل ومشرب. ومن أجل بناء جسم سوي على الراحلة أن يمارس الرياضة الصحية دون إفراط، وقد رغب الرسول ﷺ المؤمن بممارسة الرياضة، والسباحة وركوب الخيل، وهذه الألعاب ليست محددة بذاتها وإنما قصد النبي الأنواع الموجودة بزمنه، وكل رياضة تعمل على بناء الجسم مقصودة ومحمودة، ويشمل ذلك كل أنواع الرياضة التي ابتكرها الإنسان في العصر الحديث، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان يسابق الصحابة، وسابق السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها فسبقها مرة وسبقته مرة، وسابق بين الخيل وهذا يدل على أن سباق الخيل الذي ينسبه الغرب لنفسه في بداية القرن العشرين ليس صحيحًا، وسباق المارثون كذلك.

على الراحلة أن يكون رياضيًا ويعزز ثقافة الرياضة، ويعمل على تعميمها وترسيخها داخل الجماعة المسلمة وداخل المجتمع قدر الإمكان، وعلى الجماعة أن تكون متميزة بصحة شبابها وقوتهم واستقامة وصلاح أجسادهم، فالرياضة تعمل على تنشيط الجسم فينشط العقل وتنشط الروح، ويصبح مستوى استيعابك أكثر بكثير، وقلة ممارسة الرياضة تؤدي إلى كسل الجسد مما يؤدي إلى كسل العقل والروح معًا، إن الكسل والخمول ليسا من الثقافة الإسلامية وهما نقيض لها، و يعتبران من عوامل التراجع ومن الأمراض التي أصابت الأمة حتى أعيتها، فكيف ينصر الله الكسول

على النشيط كما قال الشيخ يوسف القرضاوي: (علينا أن نعزز هذه الثقافة بين الشباب المسلم سيما أنها أصبحت سمة من سمات العصر وأداة من أدوات العولمة، وتستخدم لأغراض خبيثة في كثير من الأحيان من قبل أعداء الأمة، فتعد الرياضة من أهم الوسائل التي يتم التركيز عليها والاهتمام بها من أجل إلهاء الشعوب وصرف اهتمامات الشباب المسلم والأمة المسلمة عن قضاياهم الملحة والضرورية، وما ذلك إلا لأهمية الرياضة ومكانتها في نفس الإنسان، وهذا يفرض على الدعاة أن يجدوا البديل الإسلامي وليس بمحاربة ممارسة الرياضة، بل توجيهها بحيث تخدم مصلحة المسلم الداعية دون مبالغة أو تفريط).

إن الراحلة لا ينبغي له أن يكون ضعيفًا كسولاً، سهل الكسر، إنما عليه أن يكون قوي الجسد كما هو قوي الإيمان، وهذه هي الثنائية الإيمانية التي يريدها الله لنا، والتي تجمع بين المادة والروح، والإيمان والعمل، وقوة العقيدة وقوة الجسد، لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أقوياء أشداء، فقدوتهم رسول الله ﷺ وقائدهم وكان الشجاع الأول الذي لا تصرعه الرجال، صارعه ركانة وهو رجل مشرك، فصرعه الرسول ﷺ ثلاث مرات على التوالي، حيث كان ركانة أقوى رجل في الجاهلية من حيث قوة الجسد وهو مصارع مشهور بقوة جسده، وكان النبي ﷺ خط الدفاع الأول في كل المعارك، فهذا أشجع الصحابة وهو علي كرم الله وجهه يحتمي برسول الله ﷺ، وكذلك أصحابه كانوا يحتمون به، فهذا علي الذي قال فيه

النبي ﷺ: لا فتى إلا علي، قد قتل عمرو بن ود العامري وكان هذا الأخير أشجع فرسان العرب في زمانه، بارزه عنترة وتعادل معه، لكن الإمام علي قتله، فأين الرواحل منهم؟

إني أنصح الدعاة بممارسة كل أنواع الرياضة إذا لم تؤثر على واجباتهم الشرعية، وأن يدرسوا الكتب العامة التي تهتم بالصحة الجسدية ومتابعة البرامج وما تعرضه مواقع الانترنت من دروس وبرامج، وأن يبتعدوا عن العادات السيئة التي تضر بالصحة مثل التدخين والسهر الطويل دون حاجة ضرورية، والنوم بعد الفجر، وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: (بُورِكَ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)[1]، ويروى عنه أنه مر بسيدتنا فاطمة رضي الله عنها فرآها نائمة بعد شروق الشمس، فهزها بقدمه وقال لها: قومي ولا تكوني من الغافلين، وعلى الراحلة أن يتجنب السمنة؛ لأنها تؤدي إلى مضرة الجسد؛ لأنها السبب الأكبر وراء كل الأمراض وهي بلاء وداء، فقد مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجل وكان كبير الكرش، فقال له: ما هذا يا هذا، فرد الرجل: هذا من فضل الله علي يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: بل من غضب الله عليك. والسبب الرئيسي وراء السمنة هو الشراهة بالطعام والشراب، وعلى الراحلة المسلم أن ينهج المنهج الشرعي في طعامه

(1) 5152، ج12، ص99 تخريج السيوطي، تحقيق الألباني، انظر حديث رقم 2841 في صحيح الجامع.

وشرابه، وتوجيهات النبي ﷺ كثيرة بخصوص هذا الأمر، وقد ذم الرسول ﷺ هذه الصفة وقال: عن المقدام بن معدي كرب أن الرسول ﷺ قال: (مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[1] وهذا معنى حديث رسول الله ﷺ، ولكن للأسف حادت الأمة عن هذا الحد كما حادت عن حدود كثيرة.

إنها أمة القراءة، لكنها لا تقرأ، وهي أمة العمل، لكنها لا تعمل وهي من أكسل الناس اليوم، إنها أمة النظام، ولكن أعمتها الفوضى وأصبحت سمتها، وهي أمة الرياضة، ولكنها ليست صفتها، فكيف ينصر الله الأمي الجاهل، والكسول والفوضوي على هذا العالم المنظم النشيط؟

(1) كشف الخفاء 2270، ج2، ص199، رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وابن سعد وابن جرير والطبراني والبيهقي.

حقوق الله وحقوق العباد

الراحلة يعمل مع الله، ولله على العبد حقوقًا عليه أن يؤديها، وأولها أن يعبده ولا يشرك به شيئًا، ولهذا أشار الرسول ﷺ في الحديث الذي يروى عنه، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ)[1]، وتحت هذا الحق الأعظم وقطب العبودية الأولى تندرج حقوق كثيرة منها أداء ما افترض الله على العبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها من الأوامر والنواهي التي أوجبها الله على العبد في كثير من الأمور الدنيوية والتي تنظم علاقة العبد بربه والكون من حوله، وعلاقة الإنسان بالإنسان، ومن حق الله وهو حق مشترك بين الله والعبد، أن يؤدي المؤمن حقوق العباد فهي حقوق لهم أوجبها الله على العبد وهي حق لله، يوجد كثير منها وقد صنفها العلماء أنها حقوق مشتركة، فأدت في كثير من حقوق العبد تؤدي حق الله أيضًا، فمثلا أنت لا تقتل مؤمنًا؛ لأنه حق لأخيك المسلم بأن لا تؤذيه وحق لله بأن لا تخالف أمره الذي نهى فيه

(1) رواه البخاري، 6825، ج22، ص36.

عن القتل، وحقوق الله يعرفها العبد من خلال العلم الشرعي، فيتعلم ما له وما عليه من حقوق وواجبات فيبتعد عما حرمه الله ويؤدي ما افترض عليه، وكذلك حقوق العباد يتعرف عليها المرء من خلال الفقه بما له وبما عليه تجاه أخيه المسلم، فيؤدي حق أخيه الذي أوجبه الله عليه، وإذا ما تم ذلك من كل مؤمن داخل مجتمعه وصلت الحقوق لأصحابها دون حراسة الشرطة، بل دفعًا نفسيًا إيمانيًا يفرضه ضمير المؤمن الحي.

وهذه هي ميزة الإسلام بأن أول حارس للقوانين والحقوق هو ضمير المؤمن الذي يصنعه الإيمان، فأنت لا تسرق حتى لو لم تجد حراسًا للمال؛ لأن وازع الإيمان والخشية من الله تمنعك من السرقة، وهذا هو الضمير الإيماني، وكذلك أنت لا تقتل ولا تزني ولا تغتاب ولا تؤذي أخاك المسلم بعرضه؛ لأنك تخشى من الذي لا يغفل ولا ينام ويرعى عباده وهو الله تعالى.

أما بالنسبة إلى الفرق بين حقوق الله وحقوق العباد، كثير من حقوق الله إن تجاوزها المؤمن قد يغفرها الله مهما عظمت إذا المؤمن أحدث توبة حيث أقر بذنبه واستغفر وأناب، والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأنه غفار الذنوب ويعلم أن الخاصية التي وضعها في الإنسان وهي خاصية الحرية والاختيار بين افعل أو لا تفعل، أنت حر وكل ذلك بمشيئة الله، هذه الخاصية من طبيعتها أن لا يحدث التجاوز والخطأ، فإذا ما حدث ذلك وأحدث المؤمن توبة نصوحًا غفر الله له ذنوبه مهما عظمت، وتجاوز

حدود الله وعدم الالتزام بأوامره ونواهيه مهما كبرت لن تنقص من ملك الله شيئًا، والله رحيم عفو غفور يرحم عباده ويعفو عن المسيء مهما بلغت إساءته ويغفر الذنب وإن كان مثل الجبل، والمؤمن إذا تجاوز حدًا من حدود الله لا يشترك هذا الحق مع حق العبد يغفر الله هذا الذنب إن أحدث المؤمن توبة ولا يوجب الله عليه تبيان هذا الذنب للناس، بل هو مأمور أن يستر على نفسه ولا يجوز له فوق ذلك أن يكشف للناس عن هذا الذنب حتى لا يؤذى ويهان، وهذا من كرم الله على الإنسان، بل إن من فعل ذلك استحق العقوبة وقد يحرمه الله من قبول توبته، ومصدقًا لذلك الحديث الشريف، عن سالم بن عبدالله قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ)[1]، يعني الرجل الذي أذنب ذنبًا صغيرًا أو كبيرًا ولم يره أحد إلا الله وستر عليه، أخذ يحدث الناس بعد ذلك بأنه فعل كذا وفعل كذا، وربما يفاخر بأنه ارتكب فاحشة، وهذا ظلم كبير للنفس لما يترتب على ذلك حيث إن الله ستر عليه، لكنه فضح نفسه، وجرأته بالإفصاح عما فعل قد تجرئ السامع على فعل الفاحشة واستمراء

(1) رواه البخاري، 5608، ج19، ص15.

الإثم وقبوله اقتداء بهذا الرجل الذي لم يشعر بأنه فعل شيئا خاطئا، وغير ذلك من النتائج السيئة لهذا الفعل.

وأما حقوق العباد فهي في كثير من الأحيان أعظم خطرًا من حقوق الله، لماذا؟ لأن التجاوز والاعتداء في حق من حقوق الله لا يؤثر في مُلك الله شيئًا لا يؤذي الله ولا ينقص من ملكه شيئًا فهو المالك وهو النافع وهو الضار لا يضره تجاوز العباد لحقوقه، أما الإنسان الضعيف الفقير إلى الله فإذا ما تجاوزت واعتديت على كثير من حقوقه فإنك قد تؤذيه أذى كثيرًا وتظلمه ظلمًا عظيمًا إن بقيت له بقية من حياة يعيشها مظلومًا مدحورًا مهضوم لحقوق، مهانة كرامته ومعتدى عليه، وكلما كان الحق الضائع عظيمًا كان أذاه أكبر وجرمه أعظم، وبعض حقوق العباد إذا اعتدى عليها المؤمن قد يغفرها الله، وبعضها لا يغفرها إلا بتوبة كبيرة وعمل صالح كثير، وبعضها لا تغتفر إلا إذا عفا الإنسان عن أخيه الإنسان بعد أن يقر له بذنبه، فالذي يعتدي على أخيه المسلم بيده قد يغفر الله هذا الذنب بتوبة نصوح أو بعفو أخيه عنه، والذي يؤذي أخاه المسلم بالغيبة والنميمة يغفر الله هذا الذنب بتوبة الإقلاع عن ذلك أو بعفو أخيه عنه بعد أن يقر له بالذنب، والذي يؤذي أخاه المسلم بعرضه، قد لا يغفر الله له هذا الذنب أبدًا إلا بتوبة نصوح وقام بعمل صالح كبير، وقد يؤجل الله له العقاب إلى يوم القيامة خصوصًا إذا ترتب على هذا الاعتداء ظلم ومفسدة كبيرة نتيجة إشاعة الفاحشة عن امرأة مسلمة بغير حق، ويؤدي ذلك إلى إيذائها

بسيرتها وإيذاء من حولها من الأهل، وربما يؤدي ذلك إلى القتل في بعض الأحيان وهذا ما يحدث دائمًا، فجرائم الشرف كثيرة في البلاد العربية مردها وسببها القيل والقال، والإحصائيات لدى الشرطة الجنائية في كثير من البلدان العربية التي تقع فيها جرائم القتل على الشرف تؤكد أن أغلب الضحايا من الفتيات قتلن ظلمًا وهن أبكار، فهذا ظلم كبير وعلينا أن نتقي الله ولا نؤذي الناس ونستر عوراتهم؛ لأنه ذنب تهتز له السموات السبع، فمن يجرؤ على فعل ذلك؟

وكثير من حقوق العباد إذا ما اعتدي عليها يجب أن ترد وتكشف لأصحابها سيما إن ترتب ضرر ومفسده على أصحابها، مثل الذي يسرق المال عليه أن يعيده، والذي يغتاب عليه أن يستسمح أخاه، والذي يظلم امرأةً أو رجلاً في عرضه ويتهمه بالفاحشة ظلمًا عليه أن يبين للناس أنه كذب واعتدى ظلمًا وزورًا، وهناك بعض الحقوق التي يصعب تبيانها لما يترتب على ذلك من مفسده عظيمة كالذي يزني ويرتكب هذه الفاحشة وأمثالها، عليه أن لا يبين للناس هذا الأمر، ولكن عليه أن يصلح أمره قدر المستطاع، نفهم من خلال ما سبق أن حقوق الله مهما بلغت من السهل على العبد إن تراجع وتاب توبة نصوحًا أن يتجاوز الله عنه ويغفر له، لكن حقوق العباد تجاوزها وتعديها يدخل المرء في دائرة الخطر، والتوبة في كثير من الأحيان صعبة المنال، كالذي يقتل أو يشهد الزور ويقسم اليمين الغموس ظلما للآخرين.

إن المتفقه في الدين يضع المرء على حقيقة مفادها أن التقرب إلى الله بأداء حقوق الناس هي من أعظم القربات إلى الله، يقول الرسول ﷺ: (الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ تعالى، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ عز وجل أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ)[1]، هذا الحديث يرسخ في ذهن المؤمن أن نفع الناس والإحسان إليهم وحفظ عوراتهم وكف الأذى عنهم من الجوارح والقلب هو من أعظم القربات إلى الله، والرجل الذي قال عنه الرسول ﷺ بأنه من أهل الجنة ثلاث مرات، وكان بأنه لا يؤدي إلا الفرائض، وتعجب الصحابة من ذلك، لكنه تميز بمسألة مهمة وهي سلامة صدره من أذى الناس، وحبه لهم وأنه كان ينام وليس في قلبه غل أو ضغينة على أحد ويسامح كل من أساء إليه.

على الراحلة لمسلم أن يكون متميزًا بأداء حقوق الناس ولا يتجاوزها مهما كانت الأسباب ويعتبر أداءها من أعظم الطرق الموصلة إلى مرضاة الله تعالى، يكف أذاه عن الناس، لا غيبة ولا نميمة ولا غل ولا حسد ولا قطيعة ولا يتتبع عورات أخيه المسلم يلجم لسانه عن ذكرهم بالسوء، ولا يسيء الظن بأحد، يحب لهم ما يحب لنفسه، ويناصرهم على الحق ويعينهم ويردع الظالم الذي يريد الاعتداء عليهم، هكذا يكون الراحلة المؤمن أحب الناس إلى الله وأقربهم منزلة منه، بكف الأذى عن الناس والإحسان إليهم، وانقل إليك أخي القارئ بعض الآداب والحقوق التي

(1) 3590، الضعيفة، ج8، ص92، ضعيف جدًا.

فرضها الله على المسلم تجاه أخيه المسلم، ومن هذه الآداب والحقوق ما يأتي:

أولاً: أن يسلم المسلم على أخيه المسلم إذا لقيه كما أمرنا النبي ﷺ بأن يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير.

ثانيًا: أن يعوده إذا مرض ويدعو له بالشفاء، عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ)[1].

ثالثًا: أن يبر قسمه إذا أقسم عليه.

رابعًا: أن ينصح له إذا استنصحه في شيء من الأشياء، قال رسول الله ﷺ: (فَإِذَا اسْتَنْصَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْهُ)[2].

خامسًا: أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[3].

سادسًا: أن ينصره ولا يخذله في أي موطن احتاج فيه إلى نصرته وتأييده على الحق، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(1) 1164، ج4، ص461، رواه سلامة بن روح عن عقيل.

(2) ج22، ص36. ج7، ص369، باب هل يبيع حاضر لبادٍ بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه.

(3) 12، ج1، ص21، البخاري.

ﷺ: (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا)[1]، وسئل كيف ينصره ظالمًا، فقال: تأخذ فوق يديه بمعنى تحجزه عن الظلم وتحول بينه وبين فعله فذلك نصرك له، وقوله المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، وقوله من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة.

سابعًا: أن لا يمسه بسوء أو يناله بمكروه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا). (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)[2].

ثامنًا: أن لا يهجره فوق ثلاثة أيام. عن عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من الهجرة فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليالٍ)[3].

تاسعًا: أن لا يغتابه أو يحتقره أو يعيبه أو ينبزه بلقب سوء أو يكتم عنه دفعًا للإفساد.

(1) البخاري، 2263، ج8، ص311.

(2) البخاري، 4650، ج12، ص426.

(3) ج1، ص265.

عاشرًا: أن لا يسبه بغير حق حيًا كان أو ميتًا، عن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ) [1].

الحادي عشر: أن لا يحسده أو يظن به سوءًا أو يبغضه أو يتجسس عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يؤثر عن النبي ﷺ قال: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا، وَلا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ)[2].

الثاني عشر: أن لا يغشه أو يخدعه، قال رسول الله ﷺ: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)[3].

الثالث عشر: أن لا يغدره أو يخونه أو يكذبه أو يماطله في قضاء دينه، عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا، اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) [4].

الرابع عشر: أن يخالقه بخلق حسن فيبذل له المعروف ويكف عنه الأذى ويلاقيه بوجه طلق، يقبل منه إحسانه ويعفو عن إساءته، ولا يكلفه ما ليس عنده فلا يطلب العلم من جاهل، ولا البيان من عيي.

---

(1) البخاري، 46، ج1، ص84.

(2) 6089، ج13، ص167، المعجم الأوسط للطبراني، وفي مسند أحمد 6643، ج14، ص181.

(3) 4747، ج16، ص110، باب هل يبيع حاضر لبادٍ بغير اجر وهل يعينه أو ينصحه.

(4) 6089، ج13 ص167، المعجم الأوسط للطبراني، وفي مسند أحمد 6643 ج14 ص181.

الخامس عشر: أن يوقره إن كان كبيرًا ويرحمه إن كان صغيرًا، عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا)[1].

السادس عشر: أن يعفو عن زلته ويستر عورته وأن يساعده إذا احتاج لمساعدته، وأن يشفع له في قضاء حاجته إن كان يقدر على ذلك، وأن ينصفه من نفسه ويعامله كما يجب أن يعامل به، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَبْلَهُ لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ)[2].

هذه الآداب حري بمن ينصب نفسه داعية لله أن يكون أول المؤدين إليها والمنفذين لها، والداعية لا يمكن أن يكون راحلة إلا بأحسن العمل وأداء حقوق الناس، وهذه الطاعات لا توازيها طاعات بالأجر والمثوبة، فمن أراد أن ينصف الإسلام ويرفع رايته في الأوطان فليشعر الناس بحسن الإسلام ورحمته بالناس وخيره العظيم.

---

(1) 33، ج1، ص59، باب هل يبيع حاضر لبادٍ بغير اجر وهل يعينه أو ينصحه.

(2) سنن أبو داود، 4880، ج10، ص380، تحقيق الألباني، حسن صحيح، المشكاة (5044/التحقيق الثاني)، التعليق الرغيب 177/3.

الرواحل بين القول والعمل

وصف الله سبحانه وتعالى في معظم الآيات عباده الصالحين بأنهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقال علماء التفسير معنى هذه الآية، أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، لا قيمة للإيمان بلا عمل، ولا قيمة للعمل بلا إيمان. هذه هي الحالة التي ينبغي للراحلة أن يكون عليها، فالأفكار والمبادئ إذا لم تتجسد ولم تترجم على الأرض بسلوك وعمل لا قيمة لها، هذه آفة كثيرة من ذوي الأفكار والدعوات بأفكارهم تنتهي بسوء التطبيق وتصبح دعواتهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، والمسلم عليه أن يكون صورة عن إسلامه ودعوته ومنهجه، والإساءة للإسلام بانحرافه وقلة التزامه، فالنبي ﷺ وصفه العلماء بأنه مفسر القرآن ومجسد للإسلام، وقد كان لنا فيه أسوة حسنة في تطبيقه للإسلام وفي التزامه بالقيم الربانية، لقد كان المؤمن الأول والعالم العامل، لم يدعُ إلى شيء إلا وكان أول العاملين والمبادرين له، وما نهى عن شيء إلا وكان أول المنتهين عنه، وهذا ما فعله صحابته الكرام الذين جاؤوا من بعده بمستوى التطبيق، فمثلوا المجتمع المسلم والدولة المسلمة والأسرة المسلمة والنفس المؤمنة،

فكانوا خير القرون والنموذج الأول الذي لن يتكرر مثله وبمستوى فضله، وعلينا أن نقتدي بهدي هؤلاء وبمنهجهم وسلوكهم.

إن أردنا خلافة راشدة على منهاج النبوة علينا أن نجمع بين ما ندعو إليه وسلوكنا على الأرض، علينا أن نمثل الإسلام ونجسد قيمه وإلا أسأنا له أكثر مما يسيء له الأعداء، لا يكفي الإيمان ولا يكفي العلم، إن إبليس كان من أكثر الناس إيمانًا؛ لأنه رأى بعينه وتكلم مع الله، لكن الفرق بين إيمان إبليس وبين إيمان المؤمن أن إبليس رفض العمل واستكبر وجحد، والمؤمن سلم واستسلم رغم أنه لم ير بعينه، فلذلك استحق أن يكون خليفة الله في الأرض.

إن الدعاة والرواحل في هذا الزمان الذي غربت فيه شمس الإسلام ودخل عصر الغربة محتوم عليهم أن يكونوا نموذجًا لهذا الدين حتى يعرف الناس الإسلام من خلال سلوك دعاته، لكن للأسف الشديد فإن كثيرًا من المسلمين في كثير من الميادين تخالف أقوالهم أفعالهم وهذه مأساة كبيرة وإساءة إلى الإسلام وأهله، وفوق ظلم الأعداء نزيده ظلمًا بسوء أخلاقنا وسوء سلوكنا ونصبح عالة على الإسلام، وإذا لم يصلح الإسلام أهله فكيف يصلح المجتمع؟ ونذكر أن أعداء الدين عندما كادوا للإسلام نجحوا بمخططاتهم استغلوا انحراف المسلمين عبر التاريخ وعمموا سلوك المسلمين السيئ على العالم كله وصبغوه بصبغة الإسلام، والمستشرقون مثال على ذلك، حيث شنوا غارة على الإسلام وطعنوا في

مصداقيته وصلاح منهجه من خلال تركيزهم على انحرافات المسلمين عبر التاريخ وتعميمها وأنها هي الإسلام، ولم يفرقوا بين الإسلام والمسلمين، إن الداعية المنحرف وسيء الخلق والتطبيق يسيء للإسلام إساءة كبيرة ولو أنه لم يلبس هذا الثوب لكان خيرًا له وللإسلام، إن مسؤولية الداعية والراحلة مسؤولية كبيرة وحسابه أعظم وأخطاءه لا تغتفر؛ لأنها تضر ضررًا كبيرًا بالإسلام، فيا رواحل الإسلام كونوا خير نموذج له، كونوا علماء عاملين، إننا للأسف لا نقرأ ولا نعلم، وإذا علمنا لا نعمل، وإذا عملنا يندر منا الإخلاص.

إن العلم حجة على أصحابه، فاجعلوه حجة لكم يوم تلقون الله تعالى، إن الذي يعلم ولا يعمل إثمه أشد من إثم الجاهل؛ لأن ضرره أكبر والمفسدة منه أعظم، ومن ادعى أنه يحمل الإسلام ويمثل المشروع الإسلامي عليه أن يكون بمستوى المسؤولية وإلا أساء للإسلام أكثر من غيره، إن عامة الناس لا تميز بين الدين والتدين، وتتأثر بالأشخاص أكثر من المبادئ، فإذا عجز الداعية أن يعطي نموذجًا بسلوكه وعمله عن الإسلام، فإن الناس سترفض الإسلام، ونحن نرى أن السلاح الأقوى بيد المناهضين للإسلام، هو قولهم، لو أن الإسلام صلح لظهر ذلك على شخوص من يدعون الإسلام وعلى مشاريعهم الإسلامية التي أقاموها، وقد أشار إلى هذه المسألة أحدهم في مقابلة تلفزيونية تعليقًا على أحداث داخلية جرى فيها قتال بين الإسلاميين والمختلفين معهم، فحدثت تجاوزات لا

مبرر لها فقال: إن من أراد أن يحكم بالإسلام وانتخاب الإسلاميين فلينظر إلى ما يسعى هؤلاء، وأي المشاريع يريدون لنا، هذا نموذج بسيط يبين لنا كيف يستغل انحراف الإسلاميين مهما كان بسيطًا من أجل الطعن بالإسلام.

لذلك على الرواحل أن تنطبق أفعالهم مع أقوالهم ولا يخالف القول العمل، وعلى الناس أن ترى منهم العمل أكثر مما تسمع منهم، فالراحلة كثير الصلاح قليل الأخطاء، قليل الكلام كثير العمل، وليحذر من زلاته؛ لأنها تنسب للإسلام ويستغلها أعداء الإسلام للطعن فيه ويعممها ويسلط الضوء عليها مهما كانت بسيطة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2-3]، أي مقت وأي ذنب أسوأ من مخالفة الفعل للقول؟ إن الله يطلب منا العمل وأن نكون أسوة حسنة للناس وقدوة لهم، ولا يكون إيماننا مثل إيمان إبليس. قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105].

الرواحل وتحديات العصر

الحضارة الحديثة بتصوراتها الفكرية والاجتماعية فرضت تحديًا كبيرًا على الإسلاميين وعلى الإسلام نفسه، كثير من تصورات الإسلام ومواقفه ورؤاه ومفاهيمه مثل الحريات العامة والموقف من المرأة والديمقراطية الحديثة، وغير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وحقوق الإنسان والقانون الدولي والعلاقات الخارجية والنظام الاقتصادي والسياسي في الإسلام، والعولمة والاندماج الحضاري في التكتلات الحديثة إقليمية ودولية، وغيرها من القضايا الحادثة التي تفرض على رواد الفكر الإسلامي الإجابة عن تصورات الإسلام لها، وهذه المسؤولية الكبرى تقع على عاتق علماء الأمة ومفكريها ودعاتها، والمتتبع لإنتاج العلماء والمفكرين في القرن الماضي وبداية هذا القرن يكتشف أن العلماء أجابوا على كل التساؤلات العصرية وقدموا موقف وتصور الإسلام لها، والمكتبة الإسلامية غنية بالكتب الفكرية والفقهية في هذا المجال، وحتى يكتمل الوعي في عقل وفكر الداعية الراحل، عليه أن يطلع على الموقف الشرعي لقضايا العصر المستجدة ويدرسها ويتوسع في دراستها، وذلك حتى لا يسيء للإسلام، فالحضارة المادية الحديثة في كثير من الجوانب

تقدمت كثيرًا وأعطت بديلاً حضاريًا مقبولاً على الإنسان وليس كل ما أنتجته الحضارة الغربية سيئًا بل فيها الكثير من الخير، وينشئ روح التنافس على خدمة البشرية بين الثقافات والمجتمعات الإنسانية بأبعادها العقائدية، والتدافع عندما يكون نحو الخير يشجعه الإسلام وينميه ويسعى إليه ويبذل الجهد في سبيل الوصول إليه، كما يرى بعض المفكرين الذين يقسمون التدافع الإلهي إلى تناحري وانتحاري وتعاوني.

لتجاوز هذه الأزمة الحضارية، وإثبات تفوق الإسلام بتصوراته على تصورات الغرب المادي لابد لأصحاب المشروع الإسلامي أن يعطوا البديل الحضاري الأنسب والأفضل لقضايا العصر الملحة والتي تشغل بال الناس، كقضايا الديمقراطية والحريات وغيرها، وإني أنصح القارئ المسلم أن يقرأ كتب علماء العصر الحديث ومفكريه؛ لأن رؤاهم تنطلق من الواقع وتعطي الموقف الشرعي الأنسب لهذا الزمن، والتي تواكب ثوابت الشرع ومتطلبات العصر دون التفريط بمبادئ التشريع وثوابت العقيدة، وهذه ليست دعوة لاعتزال التراث وفقه الأسلاف بل هو تفاعل مع الوحي الموجه لسلوكنا في كل زمان مع الاستفادة من فقه الأسلاف وإعطاء إجابة شرعية ملائمة لعصرنا الحديث.

يتسم فقه العلماء بهذا العصر بهذه الصفة التي تأخذ من التراث الفقهي كل ما يصلح لزماننا وتجتهد بالأمور المستجدة التي ليست لها نظائر ولا أشباه في الفقه السالف، ومن المفكرين والعلماء الذين أبدعوا بهذا المجال

نذكر بعضهم للاستفادة من انتاجاتهم الفقهية والفكرية ونوجه الدعاة والرواحل لدراسة مؤلفاتهم؛ لأن فيها الخير الكثير والإجابة على كل سؤال ومن هؤلاء: (د. يوسف القرضاوي، د. الشهيد فتحي الشقاقي، الأستاذ منير شفيق، ود. محمد عمارة، د. بشير نافع، د. محمد سليم العوا، أ. فهمي هويدي، د. سلمان العودة، د. عائض القرني) وغيرهم الكثير من العلماء والمفكرين والدعاة، وتمتاز كتابات العلماء في هذا العصر بالشمولية ودقة الفهم ووضوح الرؤيا وحسن الانتقاء وقوة الاستدلال ورجاحة الرأي، وهذه الميزة امتاز بها الفقه الحديث لسهولة الاطلاع على علوم السابقين بعد عصر أصبح العالم فيه قرية صغيرة يمكن للعالم أن يدرس علوم السابقين والأولين دون عناء أو مشقة.

الرواحل ووسائل الإعلام

كانت تسمى وسائل الإعلام السلطة الرابعة، وفي الحقيقة أنها تمثل السلطة الأولى أو القوة الناعمة لما تتمتع به من امتياز وقوة وتأثير، وتملك القدرة على التغيير الشامل من القمة إلى القاع في المبادئ الكبرى والجزئيات المتغيرة والصغيرة، فلا تعترضها العقبات وهي تخاطب العقول وتطرح الأفكار وتقلب الموازين وتبدل القيم، فبعد عصر العولمة وبفضل التقنيات الحديثة التي قربت المسافات وقلصت الجغرافيا زالت الحدود القومية والوطنية للدول والشعوب وأصبحت وهمية تخترقها موجات البث من كل صوب، فالفضاء لا يعرف جغرافيا الحدود والبث ليس له حدود أو مكان لا يتعداه.

تعتبر وسائل الإعلام الجبهة الأولى والسلاح الأول لكل دولة تطرح رؤاها، سواء كانت من منطلق التنافس أو الصراع الثقافي أو العسكري أو النفوذ السياسي، فالذي يمتلك الإعلام الأقوى هو صاحب السبق في كل الميادين مهما كانت إمكانياته ضعفًا أو قوة، والإعلام مثله مثل أي إنتاج بشري صناعي أو فكري نظري له استخدامات متعددة التوجه، فقد يكون استخدامه لمصلحة الناس وقد يكون العكس، وهذا يعود للفلسفة

والأيدولوجيا التي تقود الإعلام ذاته، والأهداف التي يسعى لتحقيقها العقل الذي يوجه ويسيطر على وسائل الإعلام، والأصل في الإعلام خدمة الإنسان وتعزيز القيم الإنسانية ومحاربة الظلم والفساد الاجتماعي والسياسي والعمل على نشر السلم والوعي الاجتماعي، فهو إعلام أخلاقي يحافظ على ثقافة المجتمعات مع مراعاة الخصوصية، يقوي قيمها ويعزز نموذجها الحضاري ويقدم صورة عن المجتمع الإنساني الذي ينطلق منه دون تشويه وتعميم للسوء، وتزييف للحقائق، الإعلام أداة كبرى ومادة عظيمة إن تجرد من المصالح الذاتية والنوايا السيئة سيكون له تأثير عظيم على الناس وخدمة البشر، هذا الإعلام المجرد، الإعلام الحقيقي، لكن إعلام اليوم في سواده الأعظم يتجرد من هذه الحقيقة، فهو إعلام موجه مسموم، منه من يتجند لخدمة الظلم والمفسدين ويدفع عن الاستبداد والمستبدين ويغض الطرف عن الفساد السياسي والاجتماعي، بل في كثير من الأحيان يعمل على ترويج وإشاعة وتعزيز الظواهر السيئة من رشاوى وغش وتدليس للحقائق وسرقة المال العام، وغيرها لخدمة النظام الفاسد والظالم، فهو يتجاوز الظالم على حساب المظلوم، ويقوي الفساد على حساب الصلاح، ومن الإعلام من يحمل أجندة أجنبية في مادته والفلسفة التي يقوم عليها، وأغلب الإعلام العربي وخاصة منه الرسمي يعمل وفق هذه القاعدة.

الاستعمار عندما خرج بجيوشه أبقى وراءه من أبناء الأمة من يقوم بدوره على أكمل وجه، وفي كثير من المواقع الإسلامية رغم عشرات السنين من الاحتلال لم ينجح الاحتلال بسياسته إلا بعد خروجه من خلال الاتفاقات التي عقدها مع كثير من القوى السياسية والتي يتساوق مشروعها مع المشروع الغربي بل يذوب فيه، والاحتلال الفرنسي في بعض الأقطار العربية نموذج لهذه الحقيقة، ولو ألقينا نظرة على شاشات التلفزة العربية للمسنا الحقيقة الشاذة، إعلام عربي يهدم القيم ويطحن الثقافة ويغيب اللغة ويعزز المفاهيم الغربية ويروج لها، ينشر الفساد الأخلاقي بحجة مواكبة العصر والتطور، وكأن المسلم لا يخرج من حمأة الجهل والتخلف ولا يلبس لباس العلم إلا إذا تجرد من أخلاقه وتخلى عن دينه وقيمه ونسي لغته وتنكر لتاريخه وثقافته.

بذلك أصبح اللباس الغربي والعادات الغربية هي مقياس الحضارة وعنوان التطور وتعميم الثقافة الغربية بعاداتها وتقاليدها وقيمها هدف معظم القنوات العربية إلا من رحم ربي، فمنها من يعمل بشكل مباشر بدعم من لمؤسسات الغربية ومنها ما هو غير مباشر تمشيًا مع المصلحة ولأنها تخدم توجهات أصحابها، إن الإعلام يعتبر الأداة الكبرى التي يستخدمها الغرب لغزو لشعوب الإسلامية والقضاء على الثقافة الإسلامية وتعميم النمط الغربي في الحياة، ويصنف كثير من الكتاب والعلماء الشرفاء القنوات الفضائية بأنها قاذفات إستراتيجية أخطر من البارجات

الحربية في عرض البحار؛ لأنها تقصف العقول وتستهدف المجتمعات دون استثناء، وخطر برامجها أكبر من خطر قذائف الدبابات؛ لأن قذائف الدبابات رغم سوئها تحيي الروح الوطنية وتقوي الروابط الاجتماعية، فالمصائب تجمع المصابين، لكن برامج التلفزة المسمومة تهدم القيم والأخلاق وتأتي بغيرها على حساب قيم المجتمع وأخلاقه، وتغير ثقافته وتعمم غيرها وتقضي عليها، ومن شاء أن يدرس حقيقة الإعلام الغربي وخاصة منه الأمريكي فليقرأ كتاب (ماذا يريد العم سام) للمفكر اليهودي نعوم تشومسكى والذي يتحدث فيه عن سياسة الأمن القومي الأمريكي باعتراف وحديث أحد أعضاء المجلس الأمني القومي الذي يقسم العالم أمام وسائل الإعلام والتي يعتبرها الوسيلة الأولى في حربه، يقسمه إلى جزء بسيط من المثقفين والعلماء تمثل من (15% إلى 20%) وهذا الجزء يصعب اختراقه، والجزء الأكبر يسميه القطيع الحائر والذي يسهل استخدامه لخدمة مصالحه، لما يتم استخدامه من قبل أمريكا خدمة أهدافها ومصالحها من خلال الأفلام والمسلسلات الغربية أو على النمط الغربي، مثل مسلسلات العرب التي تحمل الثقافة الغربية وتعمم قيمها بقصد وبغير قصد، وأيضا يستخدم ويستهدف هذا الجزء ببرامج الترفيه والضحك والمسلية، وغيرها من البرامج التي تحمل ذات التصور، والمشاهد العربي يلمس هذه الحقيقة من خلال ما يعرض على شاشات التلفزة العربية من

برامج ترفيه وغناء ومسلسلات وأفلام، وحتى نشرات الأخبار تقتدي بمثيلاتها الغربية بطريقة عرض الأخبار.

فالإعلام الغربي بأغلبه نبتة غريبة على تربة أوطاننا، ومشبوه بتوجهاته والرسالة التي يحملها، والأهداف التي يسعى إليها، وعلى الأمة أن تقف موقفًا معاديًا مريبًا منه وتحذر من مادته الإعلامية ورسالته، لأنه يهدف إلى هدم القيم الإسلامية وتحطيمها، وإحلال القيم والنموذج الغربي مكان قيمنا وثقافتنا، إنه يلغي الهوية الشخصية للأمة ويغير نمط حياتها ويهدر ويقضي على خصوصياتها من خلال برامجه وما يعرضه على شاشاته من أفلام ومسلسلات إلا من رحم ربي، ويشمل هذا حتى نشرات الأخبار؛ لأنها بعيدة عن الحقيقة والموضوعية وتنحاز إلى الأنظمة المستبدة على حساب الوطن المظلوم، ولا تتبنى همومه وقضاياه الملحة، وتبرر فساد النظام، والفساد والانحراف الاجتماعي، ولا تسمح لأحد بالظهور على شاشاتها إلا مروجًا لأهدافها أو متغاضيًا عنها، وللأسف الشديد أنه يوجد جيش كبير من المثقفين المهزومين والمأجورين يتساوقون بشكل مباشر مع الإعلام العربي فهم نجومه دائمًا والمدافعون عنه وعن الأنظمة المستبدة الفاسدة ويجندون أقلامهم لخدمة النظام من جهة وخدمة الأجهزة الغربية من جهة أخرى.

الراحلة المسلم في ظل هذا الإعلام المطلوب منه أولاً أن يرفع مستوى وعيه بالإعلام من خلال الدراسات وما أنتجته الدراسات المختصة بهذا

الجانب، وثانيًا أن يصرف اهتمامه واهتمام من حوله إلى الإعلام الحقيقي، وهو الإعلام الأخلاقي الذي يحمل رسالة الخير مهما كانت توجهاته، ينحاز للمظلوم ويقف في وجه الظالم، إعلام حقيقي يعرض برامج هادفة وأخبارًا صادقة، ويدعو إلى الفضيلة والذوق الرفيع والفن الراقي، ويتبنى الهم العام ويحفظ على القيم الاجتماعية للمجتمع ويقويها في وجه الغزو الثقافي والفكري الذي تتعرض له بلادنا، وهذا الرأي يطبق على كل وسائل الاتصال وشبكة الانترنت التي دخلت كل بيت، فالراحلة كيس فطن لا يلدغ من جحر مرتين ولا تتطلي عليه الخدع ولا ينبغي له أن يكون إمعة، يستقبل كل ما يعرض له من دون أن يزنه بالموازين الشرعية الدقيقة حتى يعرف ما له وما عليه، وعلى الراحلة أن يوسع ثقافته ويعلم ما يدور حوله ويقرأ دراسات إعلامية علمية وموضوعية يصبح من خلالها ذا مقدرة على التمييز بين السقيم والصحيح مما يعرض عليه، فيرد السيئ ويقبل الجيد والنافع، وهكذا ينقلب السحر على الساحر ونقاتل ونحيا من حيث أريد لنا الموت، إنهم بالإعلام يريدون هدم ثقافتنا وديننا وإلغاء تراثنا وطمس هويتنا وحضارتنا.

الحرص على المسؤولية وحب الزعامة

ما من شيء يهدم بنيان الحركة الإسلامية والجماعة المسلمة أكثر من سعي المسلم داخل جماعته وحرصه على طلب المسؤولية والقيادة، وحب الزعامة بمثابة سوسة تنخر جسد الجماعة المسلمة حتى تقضي عليها، كما تفعل السوسة بشجر التين، والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك أن هذه الآفة الخطيرة كانت السبب الأكبر وراء كل مصائب الأمة، وما حل بها من ويلات ومصائب، فالفتنة الأولى بين صحابة رسول الله ﷺ من الفئة المؤمنة والباغية كان على المسؤولية وطلب السيادة والسلطان، والحروب الداخلية وضعف الدولة العباسية وانهيارها كان من أجل طلب السيادة من قبل أبناء الأسرة الحاكمة، وكان هذا هو السبب الأكبر وراء انهيارها ودخول الحملات الصليبية إلى البلاد الإسلامية، والمثال الأكبر الأندلس المنارة العلمية ورمز الحضارة الإسلامية، حيث كان حرص الحكام وأبناء الأسر الحاكمة على السيادة هو السبب الرئيسي الكامن وراء الفتن الداخلية التي حطمت القلعة من الداخل مما سهل على العدو طرد المسلمين من الأندلس، فقد انقسمت البلاد إلى عدد كبير من الدويلات ووصل العدد إلى ما يقارب عشرين دولة، ونشبت الحروب الداخلية بينها وأحرقت البلاد

وتحطمت معنويات الناس، وزاد من الطين بلة تعاون عدد من الدويلات مع العدو وظهروا على إخوانهم مقابل أن يمنح العدو الأمراء الولاية على جزء من البلاد تثبيتا للزعامة، ماذا كانت النتيجة؟ مأساوية، ضاعت الأندلس وبدأ نجم الأمة الإسلامية بالأفول، لماذا كل هذا يا ترى؟ من أجل مناصب دنيوية نهايتها دائمًا إلى الزوال، فدخلت الأمة عصر الجهل والتخلف من ذاك الحين حتى وصلنا إلى هذا الحال، ويؤرخ الكثيرون من الكتاب المسلمين والغربيين عصر النهضة الأوروبية والانهيار الإسلامي بتلك المرحلة.

ولو قفزنا إلى عصرنا الحديث ونظرنا إلى أوضاع الحركات الإسلامية في كثير من البلاد الإسلامية لوجدنا أن هذا العامل من أهم العوامل التي أضعفت كثيرًا من الحركات الإسلامية وأضاعت بعض مشاريع الصحوة الإسلامية وقزمتها، مثلما حدث في أفغانستان بعد التحرير حيث وقعت الفتنة بين المجاهدين على تولي القيادة، وخرجوا بعدم الاتفاق على قيادة موحدة.

وكذلك ضعف المشروع السوداني ودخول السودان في محنة كبيرة، وكان من أسبابها كما ذكر الأستاذ حسن الترابي، تمسك البشير بالقيادة وعدم إتاحة الفرصة للآخرين، وفي سوريا يقول الأستاذ سعيد حوى صاحب كتاب "هذه تجربتي" يجد أن الخلاف على قيادة الحركة الإسلامية كان من الأسباب التي أضعفت المشروع الإسلامي أمام المشاريع الأخرى

هناك، والأمثلة كثيرة وآخرها تطاحن المقاومين في العراق على قيادة المقاومة هناك ضد الاحتلال الأمريكي، وقد كان السبب الأبرز لانهيار المقاومة واستمرار المشروع الأمريكي هناك، والأمثلة داخل الجمعيات والمؤسسات والأطر التنظيمية والطلابية والنقابية كثيرة وشاهد على ذلك.

من أجل ذلك وحرصًا على الدين ومصلحة المسلمين يتوجب على الداعية المسلم إذا أراد الخير والصلاح لجماعته وإسلامه أن ينزع من قلبه هذا الداء العضال الذي ينخر قلب المؤمن ويحطم الجسد الإسلامي، ويزهد في طلب الزعامة ويدفعها عنه قدر المستطاع حتى إذا ما أخذها كانت في يده وليست بقلبه، فإذا ما دخلت قلبه تمكنت منه وأضعفته فقاتل وقطع الرقاب من أجلها، لذلك عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الْحَلالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1]، فصلاح القلب ينزع حب الرياسة والجاه وحب السلطان والقيادة منه، وفساده عكس ذلك، وقد أدرك هذه الحقيقة رسول

(1) 50، ج1، ص90، باب هل يبيع حاضر لبادٍ بغير أجر وهل يعينه او ينصحه.

الله ﷺ فهو المؤيد بالوحي، لذلك ربى صحابته الكرام رضوان الله عليهم على التواضع والجدية وكراهية الزعامة والمسؤولية، فقال: إنا لا نولي هذا الأمر من طلبه وكانت هذه الكلمات منه ردًا على من جاءه يطلب الإمارة حيث قالها لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟، قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: (يَا أَبَا ذَرٍّ: إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)[1]، وأنت ضعيف يا أبا ذر، كما أن الرسول ﷺ رغبهم بها من جهة أخرى حيث زهدهم فيها فقال: طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه إن كان في المقدمة وإن كان في الساقة، أو كما قال، ويعني هذا الحديث أن أفضل العباد هو الذي لا يهمه إن كان قائدا أم جنديا أن يؤدي دوره أين ما كان؛ لأنه يعمل لله.

من أجل تحري الحق والوقوف كما ينبغي على الداعية المسلم أن ينهج المنهج الشرعي في هذه المسألة، فلا تولى المناصب لمن حرص عليها وحارب من أجلها، وأن يوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وقد توعد الرسول ﷺ من خالف هذا الميزان الشرعي بتوليه المناصب العقاب الشديد واتهمه بالخيانة فقال بالحديث الذي يروى عنه، عن معقل عن النبي ﷺ قال: (مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلا

(1) 3404، ج9، ص347، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا.

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)[1]، وهذا الحديث وأمثاله يضع الميزان الشرعي لتولية المناصب، فيولى أكفأ الناس وأقربهم إلى الله وأنفعهم إلى الناس وأكثرهم جلبًا لمصلحة المسلمين حتى لو كان هذا الرجل ممن نكره و لا نرغب فيه، وإلا ضاعت الأمانة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)[2]، واليوم مصيبة الأمة الكبرى هي أن قادة الدول من شر الناس وأسوئهم وأقلهم خبرة وعلمًا، والمناصب تولى بالحزبية والجهوية والقرابة والوساطة والرشاوى والغش والكذب، وهذه هي المفسدة العظيمة، وستصبح مفسدة أكبر إن أصيبت الجماعات الإسلامية بها. على الراحلة المسلم أن يكون جنديا للإسلام داخل الجماعة المسلمة، فلا يبالي إن كان قائدا أم عنصرا، وعليه أن يكره المسؤولية ويزهد بها وينزع من قلبه ونفسه حب الجاه والسلطان، والرغبة في القيادة من جهته تكون من أجل تحقيق التصور الإسلامي من جهة وحرصًا منه على دينه وإيمانه، لأن حب الجاه والسلطان والرغبة في القيادة يضعف الإخلاص في قلب المؤمن وقد يقدح في إيمانه ويعرض المرء نفسه للشيطان ويقع في ميادينه التي لا ينتصر فيها أحد إلا من رحم ربي، وهذه الآفة من أهم ميادين الشيطان، فعلى الراحلة أن يكون حذرًا

(1) 14687، ج6، ص25، كنز العمال، أخرجه البخاري في صحيحه.

(2) البخاري 6015 ، ج20، ص149.

حفاظًا على دينه وإيمانه، وعليه أن يدفع باتجاه تحقيق القيم الشرعية في تولي المناصب ويرفع من مستوى وعيه وثقافته الإسلامية من خلال قراءته لآراء العلماء حول الإمارة وشروطها، فغياب الموازين العلمية والقيم الشرعية ومخالفة الناس لها يعني فساد عظيم، فالذي يتولى منصبًا ليس أهلاً له سيضر بمصلحة الناس والمصلحة الشرعية، وكلما كان هذا المنصب حساسًا وعامًا يخص المجتمع كانت الفتنة والمفسدة أعظم والإثم أكبر.

الراحلة عليه أن يتمسك بهذه القيم حتى لو تخلى عنها الجميع ويعمل جاهدًا وقدر المستطاع على إقناع الناس بها، ولا يقبل غيرها داخل الجماعة المسلمة؛ لأنها إن أصابت العاملين للإسلام كان الضرر كبيرًا على الجماعة وعلى الإسلام والمجتمع؛ لأن الرواحل يمثلون الإسلام في زمن الغربة، واليوم الناس تحاكم الإسلام من خلال سلوك أهله ودعاته.

إن هذه الآقة امتحان كبير للرواحل، فهل ينجح الداعية من أجل أن يكون راحلة الإسلام الذي يعطي دون أن يأخذ ويتقدم حتى لو تراجع الآخرين، ويعبر عن غمط حقه من أجل دعوته، ولا يكافح من أجل الزعامة حتى لو كان أهلاً لها؟ إن الراحلة خادم للدعوة جندي مطيع يؤدي دوره على أكمل وجه أينما كان وبأي الصفوف كان، إنه رضي ما دام قطار الدعوة يسير إلى الإمام حتى لو قاده غيره وهو أهل لذلك.

إن الحرص على الزعامة وطلب الرياسة أضر ضررًا كبيرًا بالإسلام والمسلمين قديمًا وحديثًا، وهو عامل كبير من عوامل الهدم، فإذا ما أردنا خيرًا لأنفسنا ولديننا علينا أن نربي الجيل المسلم على الزهد والمسؤولية وحمل التصور الإسلامي لها الذي ربى رسول الله ﷺ الجيل الأول من صحابته عليها، فكانوا خير جنود وخير قادة فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

العاملون للإسلام في فلسطين
ثمرتهم حماس والجهاد الإسلامي

عندما أتحدث عن حماس والجهاد الإسلامي دائمًا يحضرني مقولة للشيخ والمفكر الإسلامي زعيم حركة النهضة الإسلامية في تونس حيث قال: إن الله نظر إلى فلسطين بعين الرضي فرزقها بمولودين جديدين اسماهما حماس والجهاد الإسلامي، حقًا إنهما من نعم الله علينا، فهما من يرفعان راية الإسلام، ومن جدد لهذه الأمة في هذه الأرض دينها بعد أن علا بنيان الإسلام غبار العلمانية الكثيف حتى كاد يطمر الخصوصية الإسلامية لهذا البلد المبارك الذي باركه الله في قرآنه وأثنى عليه نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه في حديثه المشهور على ألسنة الناس، حيث قال: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدّينِ، ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) [1].

(1) مسند أحمد ورجاله، رجال الثقات.

صحيح أن العمل الإسلامي الرسمي المتمثل بالأحزاب تأخر في حركة المقاومة الفلسطينية إلا أنه جاء في الوقت المناسب حيث الانهيار الكبير في المشروع القومي والوطني الذي حمل أعباء القضية الفلسطينية في ظل الاحتلال، فتراجع مشروعه المقاوم المحدود أمام خيار التفاوض مع "إسرائيل"، والمشروع الغربي القاضي بتصفية القضية الفلسطينية، وإلغاء الهوية والخصوصية التاريخية لهذا الشعب، لقد أخفق المشروع الوطني في الدفاع عن فلسطين وتنازل عن فلسطين التاريخية وقبل التفاوض على جزء بسيط من فلسطين تحت مسميات كثيرة، وها هو اليوم أسير مشروع الاستسلام، يستجدي الغرب والعالم لتحرير أرضه، وأنا لست هنا بمعرض الحديث عن إشكاليات المشروع الوطني المتمثل في الحركات الوطنية وفي مقدمتها فتح، فالتاريخ شاهد وهو عقل هذه الأمة، ومن أراد أن يدرس عن إخفاقاته أحيله إلى كتاب "الطريق إلى الهزيمة" للدكتور عبد الستار قاسم، ولكني أردت في معرض الحديث عن المشروع الوطني أن أعرج إلى السبب المهم الذي أدى إلى هذا الانهيار السريع وفشله الذريع، وإذا أردنا أن نخلص إلى إشكالية هذه الحركات بإيجاز نقول ببساطة إنها استثنت البعد الديني في صراعها مع المحتل، رغم إسلامية الأرض والشعب، والمكانة التي تحتلها فلسطين في نفوس مليار مسلم ونصف المليار، فهي ثالث المدن المقدسة في الإسلام بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفيها المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، وهي آية من

القرآن، كل هذا العمق الإسلامي لهذه الأرض استثني من الأيديولوجية العقيدة الوطنية للحركة الوطنية أمام عدو مؤدلج يحمل عقيدة تدفعه نحو العمل ويجمع من خلالها أهم شيء، فهم واجهونا بالتوراة ونحن استثنينا القرآن ورفعنا كتبًا أخرى، هتفوا لموسى ونحن نسينا سيدنا وقدوتنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وفتخرنا بأسماء أخرى تعلن الحرب على الله وتعادي أوليائه، لذلك كانت هذه النتيجة لهذا المشروع بأن انحط في الدرك الأسفل، وقبل لنفسه أن يكون وكيلا للاحتلال تحت شعارات مزيفة ودولة وسلطة وحكم، وعلى الأرض النتائج تثبت زيف هذه الشعارات، والمستفيد الوحيد هو الاحتلال ومجموعة المستثمرين من القيادة الفلسطينية، مع مراعاة أن المشروع الوطني، من انسجم مع هذا المشروع بطريقة مباشرة وهناك آخرون بطريقة غير مباشرة.

إننا نعتب على الحركة الإسلامية والمشروع الإسلامي في فلسطين بسبب تأخره في تبني المقاومة المسلحة، حيث بقيت الساحة مفتوحة وفارغة للعمل الإسلامي، وكانت هذه النتيجة من انهيار إلى هزيمة إلى فضائح في الأردن ولبنان وأخيرًا المشروع الممسوخ في الضفة وغزة الذي يكرس الاحتلال ويعطي العدو الحق في الأرض ويبرر جرائمه وإرهابه من عشرات السنين، وإن تأخر العمل الإسلامي في فلسطين وتمثل بانطلاق حركة الجهاد الإسلامي في بداية الثمانينات وحماس في عام (87)، إلا انه أعاد لفلسطين مكانتها الإسلامية وعمقها الإسلامي

والعربي، ومثل التصور الإسلامي للمقاومة، وأعطى للشخصية الفلسطينية هويتها الحقيقية وأعاد لها خصوصيتها المفقودة بقصد وبغير قصد، فكان العمل الإسلامي النظيف والمبارك رغم الإخفاق الأخير في غزة، والذي تم المبالغة فيه عن قصد فنحن نعارض استخدام البندقية في الداخل (غزة) ولا خيار لنا سوى الحوار معًا، لكن المتآمرين على المشروع الإسلامي مدفوعين من الغرب والمشروع الصهيوني، لم يقبلوا بانتصار حماس في الانتخابات وأرادوا إفشال مشروعها بكل الطرق رغم معارضتنا لهذا المشروع (مشروع الانتخابات) ودفعوا حماس باتجاه المواجهة الداخلية من أجل إسقاط مشروعها، وليس كل ما ذكر عن أحداث غزة تتحمل مسؤوليته حماس، فقد تم المبالغة كثيرًا بالأعداد والأحداث ونسبتها إلى حماس، ونحن نرفض أي قتل أو انحراف للبندقية ومعركتنا الأولى ليست مع الداخل الفلسطيني، ويتحمل المسؤولية عن الأحداث كل من أراد إسقاط مشروع حماس وعمل على إذكاء الفتنة.

حماس تتحمل جزءًا من المسؤولية؛ لأنها لم تدرك أنها وقعت في هذا المربع الذي يعتبر محرقة لكل من دخل هذه الدائرة، واليوم ورغم معارضتنا لمشروع الإخوة في حماس (المشروع السياسي) إلا أنها وباعتراف العدو الصهيوني حاربت الظلم والفساد وقضت على الرشوة والتسلط وجلبت الأمن والاستقرار للناس رغم الحصار الظالم الذي وقعت تحت ظلاله غزة.

تصاعدت المقاومة بشكل كبير وهائل بفعل العمل الإسلامي في فلسطين، وشهدت القضية تطورات كبيرة واستطاعت الحركة الإسلامية وبفضل خيارها للمقاومة من أجل إجلاء الاحتلال عن غزة، والمستوطنين من بعض الموقع في شمال الضفة، وكل ذلك بفعل المقاومة، فالمشروع السياسي الوطني صاحب خيار التسوية وخلال ثمانية عشر عاما من المفاوضات لم يستطع إخراج مستوطن أو بيت من غزة أو الضفة.

الحملة المشبوهة على حماس والجهاد:

يمثل المشروع الإسلامي العالمي تحديًا حضاريًا للمشروع الغربي الحديث ومن يدور في فلكه في منطقتنا العربية، لذلك أقاموا حملة كبيرة على الإسلام الحركي حتى لا تقوم للأمة قائمة، وهذه الحملة في جميع المجالات العسكرية والإعلامية والسياسية والثقافية، وحماس والجهاد أحد أهداف هذه الحملة الشرسة، فالحملة المسعورة من قبل الاحتلال وأعوانه والتي تتعرض لها الحركتان على الأرض هي جزء من هذا المخطط، وأخطر ما في هذه الحملة، الحملة الإعلامية التي تقصد النيل من مكانة الحركتين، وقد استغلت أحداث غزة من أجل ذلك، ومن أجل الطعن في مصداقية المشروع الإسلامي، واتهمت الحركتان بالتبعية لإيران وسوريا وغيرها، وتمثلت هذه المسألة بصبغ الحركتين باعتبارهما امتدادًا للتشيع في المنطقة ويد إيران، سعيا منهم لإضعاف التحالف القائم بين قوى

الممانعة في المنطقة الذي يقف في وجه المشروع الصهيوني الغربي لتصفية القضية الفلسطينية، وحماس والجهاد تفتخر بهذا التحالف وهي لم تخرج عن الدائرة الشرعية وتتبنى موقف كبار علماء الأمة ومفكريها، والذي يعتبر إيران دولة إسلامية وسوريا دولة حليفة للمقاومة وداعمة له.

وإن فتنة الشيعة وإذكاء الطائفية المذهبية هو جزء من السلاح الذي يستخدم ضد المشروع المقاوم في المنطقة، فحماس والجهاد تتبنى الموقف الشرعي الذي يعتبر الشيعة مذهبًا إسلاميًا رغم مخالفتنا له في كثير من القضايا، ورغم الانحرافات والبدع التي يحملها المذهب، وهذا الموقف الشرعي ليس هوى وإنما اعتماد على رأي العلماء الذين يمثلون السواد الأعظم من الأمة مثل الأزهر الشريف وعلمائه، الإمام حسن البنا وسيد قطب، والمفكر الإسلامي الغنوشي، وغيرهم الكثيرين من العلماء الذين يعتبرون الشيعة والسنة جناحي الأمة رغم الاختلاف بين الفريقين، وأن فتنة التشيع ضجة مفتعلة من أجل إضعاف الموقف الإسلامي أمام الموقف الغربي، ومن يدور في فلكه حتى يسهل القضاء على الممانعة الإسلامية ولا تقوم للإسلام قائمة في المنطقة، وعلاقة حماس والجهاد بإيران علاقة تعاون وليست تبعية ومباركة من معظم علماء الأمة ومفكريها، وتتعزز وتضعف بموقف إيران وسوريا وحزب الله وغيرهم من القضية الفلسطينية والإسلام، فإذا ما اقتربوا من هاتين المسألتين اقتربنا، والعكس صحيح.

هل الإسلام يمثله الجهاد الإسلامي وحماس فقط؟

عندما نتحدث عن المشروع الإسلامي في فلسطين إنما نقصد بذلك كل العاملين للإسلام الذين يسعون لأسلمة المجتمع، فكل مؤسسة وكل جمعية وجماعة، وكل عامل ورجل يدعو إلى الإسلام فهو جزء من المشروع الإسلامي، والأحزاب والتنظيمات الإسلامية مثل حزب التحرير الذي أسسه في مطلع الخمسينيات الشيخ الجليل تقي الدين النبهاني، وجماعة التبليغ والدعوة والجهاد وحماس والجماعات السلفية كلها جزء من المشروع الإسلامي، وهناك أشخاص وشخصيات يعملون في مجل الدعوة والفقه منهم شيوخ ورجال ونساء وأساتذة ومتعلمون لا ينتمون إلى أي تنظيم إسلامي وهم جزء من المشروع الإسلامي، وهذا التنوع إن ابتعد عن الحزبية وإلغاء الآخر والعصبية التنظيمية، هذا يخدم الإسلام ويراكم الجهد الإسلامي الذي يحمل الإسلام ديناً ويريد إقامته دولة ومجتمعًا مسلمًا، ولأن مجال العمل الإسلامي كبير فهو بحاجة لهذا التنوع، فأحياناً يضعف العمل السياسي الإسلامي ويستهدف كما هو حاصل الآن ويحصل كثير من الأحيان، تأتي الجماعات والجمعيات والأشخاص غير المؤطرين ليسدوا الفراغ الذي تتركه تلك التنظيمات، وقد أثبتت التجربة أن العمل الإسلامي استفاد فائدة كبيرة من الجهود الإسلامية الفردية وغير المنظمة، وكان ذلك نفعًا للإسلام، وهناك أناس يصلحون

للعمل الفردي ومنهم الجماعي ومنهم من ينتج داخل مؤسسة، وذاك داخل حركة، ويجب على العاملين للإسلام تشجيع كل هذا الاتجاه، وعدم تعطيله وتضييق الخناق عليه، كما يحصل في كثير من الأحيان يجب استيعاب كل من يعمل للإسلام مهما كانت توجهاته، والابتعاد عن سوء الظن بالآخرين وإبخساهم أشياءهم والظن في نواياهم، فالكل عامل لله ومع الله، وفي النهاية كل الجهود ستصب في مصلحة الإسلام.

فقد رأينا أن الأحزاب المقاومة استفادت فائدة كبيرة من الجماعات والحركات الدعوية في إنشاء جيل مسلم ومحاربة الرذيلة والفساد. إن التنافس بين العاملين للإسلام إن ابتعد عن الحزبية العصبية سيغني الإسلام ويزيد من ثرائه الفكري وينمي عمله حتى يثمر الثمرة الطيبة، فهذا رسول الله ﷺ في معاركه يعطي لواء المهاجرين ولواء للأنصار، والأنصار يقسمهم بين أوس وخزرج، وفي معركة اليمامة يقول سالم: تمايزوا وكل يدافع عن لوائه حتى نعرف من أين يأتي ضعفنا، إن الأحزاب كما قال ابن تيمية شيخ الإسلام: إن اجتمعت على كلمة الله وخدمة الإسلام لا بأس بها، وهي لله ان شاء الله، والحزبية المرفوضة في الإسلام هي الحزبية المتعصبة التي لا تعرف الفرق بين الظالم والمظلوم، يقول الرسول ﷺ: (ليس من العصبية أن يحب الرجل أهله وقومه، وإنما العصبية أن تعين أهلك على الظلم)، وحماس والجهاد الإسلامي لا بأس بهما، وهما جزء من المشروع الإسلامي بل رأس المشروع الإسلامي

الذي إن شاء الله سيعيد القدس ويحرر فلسطين، فهذه أرض مقدسة لن تحررها إلا الأيادي المتوضئة الطاهرة التي ترفع لواء الإسلام، ونستبشر بالحديث الذي يروى عن النبي ﷺ حيث قال لعبد الله بن حوالة الأزدي بعد أن وضع يده على رأسه: (إذا رأيت الخلافة نزلت في الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، الساعة يومئذ أقرب للناس من يدي هذه من رأسك)[1]، وهذه بشرى خير بأن مجاهدي فلسطين سيكون لهم السبق في عودة الخلافة الراشدة سيما أننا على أبواب الخلافة الراشدة إن شاء الله، وقبل الخلافة سيكون لها رجال وللباطل رجال، ونسأل الله أن نكون من أهل الحق، وإننا ندعو الشباب أن يكونوا من أصحاب الحق وأن يعملوا لعودة خلافة رسول الله ﷺ.

نسأل الله أن يحفظ الجهاد وحماس وكل من يعمل لله ومن أجل الإسلام، وأن يبارك هذا الجهد ويتقبله حتى يؤتي أكله بدولة إسلامية يعز الله بها أولياءه ويذل أعداءه، إنه قريب مجيب الدعاء، فهذا الركب هو ركب الربانيين والشهداء والصديقين، ومن عادى الإسلام أذله الله ولو بعد حين، ومن نصره ووالاه نصره الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ

(1) 8425، ج19، ص168، هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعبدالرحمن بن زغب الإيادي معروف من تابعي مصر/المستدرك على الصحيحين.

بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[1]، والله سبحانه وتعالى لم يعلن الحرب إلا على ثلاث. منهم آكل الربا، حيث قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 278-279]، ومنهم من يعادون أولياء الله ويصدون عن سبيله، فالمسلم عليه أن يكون من صف الربانيين الذين يعملون من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، وترسيخ عقيدة التوحيد بين الناس وإقامة شرعه، والصف الإسلامي هذا لا يزعم أحد أنه وحده فيه، والطائفة المنصورة والناجية لها صفات، وكل من تتوفر فيه هذه الصفات فهو منها إن شاء الله، كما قال النووي رضي الله عنه: ومن صفاتها، العمل من أجل إعلاء كلمة الله وتحقيق إقامة شرعه وتحكيمها في حياتنا وإقامة دولة الإسلام، ومحاربة الظلم والطغاة، والوقوف على حدود الله ،من تحليل حلاله وتحريم حرامه، وإنشاء جيل مؤمن وإقامة مجتمع إسلامي، وحمل الإسلام عقيدة وإيمان

(1) 6021، ج20، ص158، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا، البخاري.

وعمل والتزام بشرع الله، فمن فعل ذلك وسعى إليه كان من الطائفة المنصورة والناجية إن شاء الله، وأصبح جزءا من المشروع الإسلامي.

ليس من أعلن الحرب على الله وأوليائه وحرم الحلال وحلل الحرام، ونشر الفساد، وجرد الإنسان من الأخلاق، وحارب المجاهدين وتعاون مع الكفار والمحتلين تحت حجج كثيرة، إن هذه الأعمال مع الصد عن سبيل الله حتى لو لبست لباس التقوى وخرجت بثياب الواعظين وادعت أنها تعمل من أجل مصلحة الشعب فهذا يعتبر قلبًا للحقائق وتزيينًا للباطل وإصباغًا للون من الشرعية عليه، وصدق رسول الله ﷺ حينما قال في حديثه: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: (سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ)، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: (السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ)[1] وهذا يعني قلبًا للحقائق والموازين، ونحن نلمس ذلك بأم أعيننا، فالشريف من يضع يده في يد قاتل الأمة وجزارها، والذي يفسد أخلاق الناس بثقافة الغربي والفن الهابط والثقافة الركيكة هو الصالح، والذي يحمل القرآن والإسلام ويدعو إلى مكارم الأخلاق هو الفاسد والخائن، وأنا أقول: إن الحق جلي وواضح، والحجة قائمة، وسنقف أمام الله وسنسأل عن هذا الزمن وكيف

(1) 8708، ج19، ص466، حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وهو من حديث يحيى بن سعيد الانصاري، عن المقبري غريب جدًا.

كنا وماذا عملنا؟، هذه هي غربة الإسلام التي تحدث عنها الرسول ﷺ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ)[1].

فالذي ينادي بالأخلاق ويجاهد ويعمل من أجل إقامة دولة الإسلام كأن بيده جمرة من النار، أو النار أهون عليه من أن يدعو إلى الإسلام، ومكارم الأخلاق وهذا ينطبق على كل الفئات الاجتماعية الداعية لدين الله، فالمرأة التي تريد الالتزام بالدين الإسلامي الذي يحمل المقاييس الشرعية للباس بحيث لا يكون شفافًا ولا يفصل جسدها؛ أي فضفاض، غريبة في هذا الزمن وغريبة إن أرادت الالتزام بالآداب العامة من حشمة واختلاط مذموم؛ لأن من الاختلاط ليس مذمومًا، فهي غريبة ومرفوضة وليست حضارية وإنما رجعية ومتشددة ومتخلفة، وكثير من الأوصاف المشهورة التي نخجل من ذكرها في هذا المقام وذلك تنزيها لآذان القراء، وأما على الجانب الآخر فالمتبرجة كاشفة الرأس وذات اللباس الضيق المصمم في أمريكا وفرنسا والتي لا تعرف من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا شكله، فالمرأة العصرية الحضارية والمتغربة تفتح لها كل الأبواب من وظيفة ومكانة اجتماعية ودعاية إعلامية.

كذلك الأمر ينطبق على الرجل والمجتمع برمته، إنه انقلاب لكل الموازين الشرعية والطبيعة، وهذا نذير شؤم، والمطلوب منا أن تصحو ضمائرنا، وأن

(1) 7493، ج16، ص69، المعجم الأوسط للطبراني، تفرد به الشانكوني.

نخشى يوما نلقى فيه الله، يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار، ونعمل سويًا من أجل رفعة الإسلام والمسلمين وتحقيق منهج الله حتى يكون هو حاكمنا في الأرض ومشرعنا، وأن نكون في مقدمة الصف الإسلامي لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

إن الحركات والجماعات الإسلامية في فلسطين هي التي تحمل صفات الطائفة المنصورة رغم التفاوت والتفاضل بينها، وعلى الأمة أن تحمل خيارها ومشروعها وتقارن بين أفضل الحركات وأكثرها تميزًا وتسير خلفها، وهذا التمايز يظهر بالتمسك بالإسلام مشروعًا، والجهاد في سبيل الله وسيلة وحيدة لتحرير فلسطين، ورفض أي بديل له، ويظهر هذا التمايز أيضًا برفض المشروع العالمي المتمثل باتفاقيات أوسلو الذي يبغي تصفية القضية الفلسطينية وعدم التعاطي معه بشكل مباشر أو غير مباشر، ورفض وإبخاس الناس أشياءهم واحترام الآخر، وقبول التعددية الإسلامية. وأختم بقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الأحزاب التي أهلها مجتمعون على أمر الله ورسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم) وهذا من كتاب مجموعة الرسائل لابن تيمية، ويظهر أيضًا برفض الاقتتال الداخلي مهما كانت الأسباب، والتعالي على الحزبية ونحن إن شاء الله مجتمعون على أمر الله.

الرواحل بين التنطع في الدين والإفراط فيه

الإمام علي رضي الله عنه عندما قال لابن عباس رضي الله عنه وهو ذاهب لمجادلة الخوارج وتفنيد ادعاءاتهم، لا تجادلهم بالقرآن بل جادلهم بالسنة، وذلك لأن القرآن بطبيعته مجمل ولا يتحدث عن التفاصيل، بل يضع الخطوط والقواعد العامة للأشياء، لذلك جاءت السنة مفصلة له وشارحة لآياته، وهذه مزية من مزايا القرآن الكريم الكبرى، فهو مهيمن غزير بمعانيه، ولهذه الخاصية في القرآن يحدث سوء تأويل لآياته وانحراف عن المعنى المقصود، وهذه كانت إشكالية الخوارج الكبرى بحيث أساءوا تأويل الآيات، ووضعوها في غير موضعها، فكفروا المؤمن وادخلوا إلى الدين ما ليس فيه بسوء التأويل، فرفعوا شعار ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 45] بوجه الإمام علي، فقال كلمته المشهورة: "كلمة حق أريد بها باطل". تأويل الخوارج لآيات القرآن، وباطلهم سوء تأويل القرآن وجهل معاني الآيات ومدلولاتها، ينطبق هذا على السنة أيضا، وهناك قصص كثيرة تؤكد هذه الحقيقة، لذلك عن الأحنف بن قيس، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: (هَلَكَ

الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلاثًا)[1]، فالتشدد والتنطع في الدين ليس وليد هذا العصر وإنما كان أيضًا من الجيل الأول من أساء فهم النص ونقله عن المعنى المقصود.

مثال على حالات حدثت في عصر النبي ﷺ رغم قلتها إلا أنها تعبر عن هذه الحقيقة، في القصة الأولى، الصحابة الذين خرجوا في غزوة وأصيب أحدهم برأسه بحجر، فقد احتلم هذا الصحابي، وعندما استيقظ لصلاة الفجر سأل إخوانه عن الصلاة؛ لأنه احتلم، فمنهم من أشار عليه بالغسل، فغسل جسمه مما أدى إلى موته، فعقب النبي ﷺ على هذه الحادثة وقال: قتلوه، قتلهم الله. وفي قصة أخرى الصحابة الذين قالوا نصوم ولا نفطر ونقوم ولا نفتر، ولن نتزوج النساء، عندما سمع النبي ﷺ بمقالهم، قال: من يقول ذلك؟ فاني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني. العبرة من هذه القصص هي أن من لجيل الأول نفسه من أساء تأويل النص سواء كان قرآنًا أم حديثًا، ومنهم من تشدد في تطبيق النص فخرج عن المقصود، وهذه الفئة لم تنتهي من المسلمين ولن تنته أبدًا وسيبقى في الأمة من يتشدد في تطبيق الإسلام، ومنها من يسيء التأويل في القرآن وفي السنة أيضًا، والرواحل بين هؤلاء هم من يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا بعيدًا عن التشدد والانحراف

(1) 4823، ج13، ص154.

والتفريط ولا يكون ذلك إلا بالعلم، وقد بين لنا الرسول ﷺ: (يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ)[1] 19258 "إن هذا العلم يرثه من كل خلف عدوله، ينفون عنه انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين، أو كما قال: العلماء هم وحدهم العدول، الوسط بين المغالاة والإفراط.

بالعلم فقط نحسن فهم الإسلام وفهم معانيه ومقاصده وأهدافه، و يتحقق ذلك بالاستماع لكل العلماء والمدارس، والدراسة والقراءة والتوسع بالعلوم الشرعية وعدم الاقتصار على مذهب معين أو مدرسة بعينها أو عالم بذاته، بهذا الانفتاح على كل العلماء وكل المدارس والمذاهب الفقهية تتحقق الأرضية العلمية للمسلم والتي من خلالها نستطيع الحكم على آراء العلماء والدارسة، والمقارنة بينهما حتى نعلم من يحمل الفهم الأصح للدين، والفهم الصحيح للإسلام ليس مقصورًا على عالم أو مدرسة، مثال، الحق تجده عند أحد العلماء بأمر من الأمور، والحق بموضوع آخر قد تجده عند آخر، وهذا ليس تبعًا للرخص، هكذا يخرج الإنسان من دائرة المذهبية والتقليد المذموم. على المسلم أن يقرأ لكل العلماء ولكل المذاهب ويدرس كل المسائل المختلفة فيها ويقارن بين أقوال العلماء، ويحمل الرأي الذي يراه أقرب للفهم الإسلامي حتى لو كان هذا الرأي عند عالم يخالفه كثيرًا في كثير من المسائل.

(1) 19258، السنن الكبرى للبيهقي، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي شَهَادَةِ الأَخِ لأَخِيهِ.

الرواحل بين العصبية المذمومة والتقليد المذموم

الجيل الأول الذي يمثله عصر النبوة والخلفاء الراشدين هو العصر الذهبي للفهم الصحيح للإسلام، وهذا العصر خلت منه المذهبية والتقليد المذموم، وهذا يعني أن المذاهب ليست هي الأصل في الإسلام وإنما هي طرق لفهم الإسلام وإظهار أحكامه ومعانيه، والإسلام لا يعارض المذاهب ولا التقليد رغم أنها ليست هي الأصل، ولكن الإسلام يعارض التعصب المذهبي والتقليد الأعمى بغير دليل ولا برهان، التعصب الذي ينفي الصفة الشرعية عن المذاهب والآراء الأخرى، ويرفض الاجتهادات الأخرى ويشن حملة من الطعن والتشهير وإيخاس الناس أشياءهم، وهذه مرحلة من أصعب مراحل تاريخ الفقه الإسلامي حيث دخلت مرحلة التعصب المذهبي وتعطيل الاجتهاد وتراجع الفكر الإسلامي وأسس لمرحلة التراجع والغيبوبة التي عاشها الإسلام، وكانت من الأسباب الكبرى لانهيار الحضارة الإسلامية، حيث كان التعصب المذهبي جزءًا من مرحلة الانهيار ودخول الإسلام عصر التراجع والأفول الحضاري، وكتب التراث الإسلامي سيما منها الفقه مليئة بالمناكفات الفقهية التي تخرج عن الحد الشرعي وأساءت للإسلام إساءة كبيرة، وأدخلت الأمة طورا جديدا

أهدرت فيه كثير من طاقاتها الجبارة، وأضاعت الوقت ودخلت في معارك جانبية شلت قدرتها على النهوض والتحرك .

والتقليد المذموم هو الذي يرفض الرأي الآخر في المذاهب المختلفة حتى لو كان رأيه بدليل وحجة وبرهان، لذلك على الراحلة أن يخرج من دائرة المذهبية والتقليد المذموم ويبني شخصيته كما كان بناء الجيل الأول، ويحمل الحق أينما كان ولا يبالي بنفسه مهما كانت الصعاب، والحركة الإسلامية بفضل الله في هذا العصر أسست فقهيًا وبعيدًا عن التعصب المذهبي والتقليد المذموم، وتأخذ الحق من أي كان، والأنسب لأحوال عصرنا والأقرب إلى المقاصد الشرعية والذي يحقق مصلحة الإسلام والمسلمين، ويمثل هذه المدرسة كثير من علماء ومفكري الأمة من أمثال د. الغزالي ود. سليم العوا، والدكتور الشهيد الشقاقي، وغيرهم الكثير من الدعاة والعلماء ومفكري هذه الأمة الذين يمثلون خط الوسط في العمل الإسلامي، وقد قدموا للأمة فقهًا عصريًا ضخمًا وإنتاجًا فكريًا كبيرًا، لو قدر الله له أن يوجه سياسات الأمة وأعطيت له الفرصة للعمل بها ستحدث ثورة ثقافية وفكرية لا مثيل لها بتاريخ الإنسانية، وستصعد الأمة بالسلم الحضاري صعودًا صاروخيًا يضعها على القمة الحضارية وستكون سيدة الشعوب والحضارات، ومواساة للأمة نذكر الحديث الشريف عن النعمان بن بشير قال: كنا قعودًا في المسجد مع رسول الله ﷺ وكان بشير رجلاً يكف حديثه فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعدٍ أتحفظ حديث

رسول الله ﷺ في الأمراء فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته فجلس أبو ثعلبة فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: (تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا شَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ الْخِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَتَكُونُ مُلْكًا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ) [1].

في هذا الحديث دليل على أن الإسلام سيمر بعدة مراحل أولها النبوة وهي عهده ﷺ، ثم عهد الخلافة الراشدة، ثم ملك عضوض وهي الممالك الإسلامية الأموية والعباسية والعثمانية، ثم حكم جبري أو ملك جبري وهو العصر الذي نعيش فيه غصبًا عن الأمة، ثم بعد هذه المرحلة خلافة راشدة على منهاج النبوة، ونحن إن شاء الله على أبواب الخلافة الراشدة ونعمل لها ونسأل الله أن نكون من العاملين لعودتها، وبما أن جيل الخلافة الراشدة كان فهمه للإسلام فهمًا صحيحًا عاقلاً بعيدًا عن التعصب والمذهبية والتقليد الأعمى.

والصحوة الإسلامية اليوم تمثل الفهم الأقرب لفهم الجيل الأول وتستوعب الخلاف المذهبي ويتسع صدرها لكل الآراء والمدارس، وتؤسس لفهم إسلامي صحيح يجمع بين الأصالة والتجديد ويستفيد من

(1) 17680، ج37، ص361، مسند أحمد.

التراث ما يصلح لزماننا، وتجتهد بكل جديد صالح، وتعطيه الحكم الذي يليق به، والسواد الأعظم من الحركة الإسلامية في العالم ينتمي إلى هذه المدرسة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفق قادتنا وعلماءنا لما يحبه ويرضاه من أجل إصلاح حال الأمة وتحكيم شرع الله وإقامة خلافة الإسلام ودولته، إنه قريب سميع مجيب الدعاء.

الرواحل ودراسة التاريخ

إن الذي يقرأ القرآن يكاد يعجب كثيرًا من الحديث عن قصص الأولين، والطلب من المؤمنين العاقلين أخذ العبر والاستفادة من تجارب الأمم السابقة والتعلم منها وعدم الوقوع في ذات الأخطاء التي وقع بها الأولون، هذا السرد الكبير لتاريخ الأمم السابقة ليس عبثًا رغم أن القرآن الكريم لم يأت كتأريخ للتاريخ علمًا بأن التاريخ له أسس وقواعد كبرى في القرآن مثل بقية العلوم سيما منها الإنسانية.

إن التاريخ عقل الأمة، وبالتراكم التاريخي تبلغ الأمة سن الرشد، ولا قيمة لأمة بلا تاريخ، والأمة التي ليس لها تاريخ ليست عاقلة ولم تبلغ سن الرشد، وهي عالة على من حولها وأسيرة لمن أحسن إليها، ونسيان التاريخ والتنكر له يعني أن تفقد الأمة عقلها، ومن أجل النهضة الحضارية والخروج من الأزمة التاريخية التي تحياها الأمة لا بد لها من أن تدرس التاريخ دراسة واعية وتأخذ العبرة من الماضي وتتعلم من تجارب الأمم الأخرى، ودراسة التاريخ هنا والاهتمام بعلم التاريخ ليس المقصود به فقط تاريخنا الخاص بل تاريخ الأمم الأخرى وكيف صعدت على السلم الحضاري والإنساني، وأول دراسة للتاريخ تكون الدراسة الذاتية، أي

تاريخنا نحن المسلمين أولا، وهذا يشمل دراسة التراث وكل ما أنجزته الأمة العربية والإسلامية عبر العصور، أين أخفقت وأين نجحت، وأين تقدمت وكيف تراجعت؟.

إن علم التاريخ من أهم العلوم الإنسانية التي لا بد من دراستها إن أردنا الخروج من أزمتنا الحضارية، والداعية المسلم الذي يحمل المشروع الإسلامي والهم الإسلامي يجب أن يدرس التاريخ وخصوصًا تاريخ أمتنا، والدراسة تكون بعدل وبعيد عن الإفراط والتفريط، فالتاريخ شأنه شأن العلوم الإنسانية التي تتداخل فيها الأهواء والآراء الشخصية، والخلفية الفكرية والأيديولوجية لكاتب التاريخ، ومن أجل دراسة واعية لا بد من التوسع بدراسة التاريخ وقراءة الإنتاج التاريخي دون التحيز لمذهب معين أو مدرسة بذاتها، والفكر الإسلامي قديمًا وحديثًا يحوي ثلاث مدارس لدراسة التاريخ (المدرسة التبريرية والمدرسة المعتدلة والمدرسة المتشددة) ولكل مدرسة تلاميذها وعلماؤها، المدرسة التبريرية يمثلها كل المتأولين لأخطاء السابقين مهما عظم حجمها، ونشأت بعد فتنة الصحابة رضوان الله عليهم واقتتال سيدنا علي ومعاوية، وكان شعارها، فتنة طهر الله منها أيدينا، فلماذا نلوث ألسنتنا بها ويمثلها الإمام الكبير حسن البصري، ومساوئ هذه المدرسة تبرير الأخطاء وعدم التمييز بينها وبين الخطايا التي لا تغتفر وتعطي مبررًا للانحراف السياسي، كما يحدث اليوم من الأنظمة المستبدة في العصر الحديث في دولنا العربية والإسلامية، حيث

الاستناد لانحراف الحكام والولاة في العصور الإسلامية واعتبارها حججًا لإصباغ الشرعية على الأنظمة المتسلطة والمستبدة في العصر الحديث، ومن مساوئها أيضا أنها تربي جيلاً يستمرئ الذل والهوان ويقبل الظلم ولا تحيا فيه روح النقد والوقوف في وجه الظالم الفاسد، وهذا يعني فسادًا كبيرًا لا ينتهي، فالأمة التي تقبل الذل ولا تحارب الظالم لا يمكن لها أن تنهض حضاريًا، ونذكر أن السكوت عن الظلم والرضى به جر على الأمة ويلات عظامًا وكان من الأسباب الكبرى التي أدت إلى تراجع الأمة وأفول نجمها الحضاري عن الوجود، فما زال المسلمون من بعد الخلافة الراشدة يسكتون على فساد النظام السياسي الإسلامي حتى ضاعت الخلافة الإسلامية في عصرنا الحديث عام 1924 على يد كمال أتاتورك ونحن نتأول لهذه المدرسة بأنها أرادت أن تبقي هالة قدسية حول سيرة أصحاب النبي ﷺ أثناء دراسة تاريخهم ودراسة الفتنة بينهم، وهذا برأي الكثيرين خطأ؛ لأنها لم تميز بين الرجل والمبدأ، فالرجل مهما كان يخطئ والمبدأ لا يتغير، ويمثل هذه المدرسة في العصر الحديث الإسلاميون المفرطون بنظرية المؤامرة، والعلماء والدعاة الرسميون الذين يقتربون كثيرًا من الحكام (علماء السلاطين).

والمدرسة التي يسميها البعض بالمتشددة تحيد أحيانًا عن جادة الصواب وتقوى أحيانًا أخرى في عرضها للتاريخ فلا تكاد ترى إلا سوادًا في تاريخ الأمة، ونتأول لها بأن تاريخ النظام السياسي الإسلامي يكاد يخلو

من الإشراقات بعد الخلافة الراشدة وعصر النبوة إلا من بعض الإشراقات الضعيفة هنا وهناك، وكان لفساد النظام الإسلامي الحديث تأثير كبير على كتابات كثير من كتاب هذه المدرسة، وللإنصاف ورغم أن بعض العلماء أطلق على هذه المدرسة وصف التشدد إلا أنها تحمل صفة العدل بكثير من مواقفها في كثير من المسائل التاريخية، والمدرسة المعتدلة بدراسة التاريخ هي المدرسة الوسط التي تقف موقف الدارس والباحث عن الحقيقة وتنقل المعلومة التاريخية بأمانة علمية دون انحياز لطرف بعينه، خصوصًا أن التاريخ دائما ما يكتب بلغة المنتصر، ومن أجل العدل في دراسة التاريخ لا بد للمسلم أن يتوسع في علم التاريخ ويقارن ويستند إلى القواعد العلمية، والعصر الحديث مليء بالكتب العلمية التي تؤسس لدراسة منهجية واعية لدراسة التاريخ.

القراءة الأولى للتاريخ يجب أن تكون إسلامية ثم تكون عالمية في تاريخ الأمم الأخرى وتبدأ من عصر النبوة وميلاد النبي ﷺ حتى عصرنا الحديث، والمكتبات الإسلامية مليئة بكتب التاريخ والسيرة والموسوعات التاريخية والحضارية، مثل (البداية والنهاية لابن كثير)، (الكامل في التاريخ لابن الأثير) وعلى الدارس أن يقرأ موسوعة أو أكثر ومجموعة كتب حتى يكون ملما بتاريخه وحضارته، وكلما توسع القارئ بالدراسة كانت الفائدة أكبر وأعظم، هذا على صعيد القارئ العادي، أما المختص

فالمطلوب التوسع والإلمام بالتاريخ والتراث الإنساني لبقية الأمم والشعوب.

ولدراسة تاريخ الأمم والشعوب الأخرى أهمية قصوى بتعزيز الأمن القوي سيما إن كان شكل العلاقة بين أمته والأمم السابقة الأخرى علاقة تضاد وصراع، ورسول الله ﷺ وجه انتباهنا لأهمية هذا الأمر فيقول، قال رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: (من تعلم لسان قوم أمن من مكرهم)[1] والمقصود باللغة ليس فقط لغة اللسان وإنما دراسة لمجتمع ذاته وتاريخه وحضارته، مع العلم أن الأصل بالعلاقات الإنسانية التواصل والتعاون على الخير وليس الشر والقتال، يبقى التنبيه لأمر مهم جدًا وهو أن التاريخ كان بمثابة الثغرة التي دخل من خلالها أعداء الإسلام وخطوا تاريخاً إسلاميًا لنا بتصوراتهم المسمومة، ويمثل هؤلاء المستشرقون، وهم علماء الغرب الذين درسوا تاريخ الإسلام وكتبوه بسوء نية وركزوا على النقاط السوداء والروايات الضعيفة والمردودة وأحاطوها بهالة من الصحة، وركزوا على سلوك المسلمين ولم يركزوا على الإسلام، وقالوا إن سلوك المسلمين هو الإسلام ذاته، ولم يفرقوا بين الدين وتدين الناس من أجل الإساءة للإسلام، والمستشرقون لهم تلاميذ كثر في بلادنا العربية ويستقون مصادرهم التاريخية منهم، وللأسف الشديد تجد الكثير من كتب التاريخ

(1) 187، محمد الألباني (كتابه الزاهر الموسوم) سلسلة الأحاديث الصحيحة. قال العلامة الألباني إن هذا الحديث فكأنه إنما اشتهر في الأزمنة المتأخرة، السلسلة الصحيحة (1/366).

في العصر الحديث تعود بمصادرها إلى كتب المستشرقين المسمومة التي تطعن بالإسلام وتشوه تاريخه ولا تفرق بين المسلمين والإسلام، وتبين للقارئ سلوك المسلمين لمنحرف عبر التاريخ هو الإسلام وأن الإسلام يدعو لذلك، ولكن هذا افتراء عليه وظلم كبير بحق الإسلام، وعلى القارئ أن ينتبه عند قراءته ويعرف لمن يقرأ وماذا يقرأ ويستشير أهل الفقه، والاتصال بالعلماء والدعاة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

إن الدراسة التاريخية في التصور الإسلامي دراسة ليست من أجل الحفظ وإنما من أجل الفهم والوعي وأخذ العبرة والتعلم من تجاربنا السابقة وتجارب الآخرين، فالعاقل من تعلم من نفسه، والحكيم من تعلم من غيره.

الرواحل بين الوطنية والإسلام

علماء الأمة ومفكروها في هذا العصر لا تكاد تمر بمسألة دون إجابتهم عليها وتصور الإسلام لها خصوصًا القضايا الحادثة مثل الديمقراطية والعلمانية والمواطنة والوطنية والقومية وغيرها الكثير من القضايا المستجدة، وقد أبدعوا وأغنوا التراث الإسلامي ومن أمثال هؤلاء الشهيد فتحي الشقاقي وغيره كثير، وإني أنصح القارئ بدراسة إنتاجاتهم والاستفادة منها، ومن خلال فهمي لما قدمه هؤلاء العظام بمسألة الوطنية وموقف الإسلام منها أنه لا تعارض بين حب الوطن والإسلام على أن لا تكون هذه الرابطة على حساب الرابطة الإسلامية التي تجمع كل المسلمين في بقاع الأرض بعقيدة واحدة، والنبي ﷺ عندما خرج من مكة وهاجر إلى المدينة المنورة نظر إلى مكة وهو خارج منها وقال: (وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكِ أَحَبُّ الْبِلادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ). وقد وضح لنا الرسول ﷺ أنه لا تعارض بين حب الرجل قومه وبلده وبين الإيمان حيث قال عندما سأله أحد الصحابة، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه يا رسول الله؟ قال: العصبية أن يعين أهله على الظلم، فليس من العصبية الجاهلية أن يحب الرجل أهله

وبلده ووطنه بشرط أن لا يكون الحب على حساب الإيمان وقيم الإسلام، فحب الأرض والوطن الذي نشأ فيه الإنسان مباح ومقبول ولا تعارض بينه وبين إسلامه وعقيدته، على أنه يجب العلم أن هذه الأوطان كلها أوطان مصطنعة من فعل الاستعمار وأذنابه في المنطقة حتى لا تقوم للأمة قائمة وتبقى الخلافات الداخلية بينها حتى تهدر كل الطاقات وتضيع جهود الأمة وتهدر بلا استثمار، وهذه الحدود الطارئة عليها أن تقف حائلا بيننا وبين إخواننا في العقيدة بكل البلاد الإسلامية، ولا نتعصب لأوطاننا بالحق والباطل، ويجب أن يبقى الهم واحدًا والهدف واحدًا والشعور مشتركًا بين أقوام المسلمين وأوطانهم، وللأسف الشديد نقول إن الاستعمار وأنظمة الاستبداد في العالم الإسلامي نجحوا بعزل الأمة وتكريس واقع التجزئة، وإحياء العصبية الجاهلية بين بلاد المسلمين، فمع بناء الحواجز المادية المتمثلة بالحدود الموهومة، شيدت جدر نفسية كبيرة مادتها الكراهية والبغض الشديد والحسد، وما الحروب الداخلية بين كثير من الأقطار الإسلامية والعربية إلا ثمرة هذا السور النفسي الذي بني بين أبناء الأمة الواحدة

هذا الانقسام الكبير النفسي والمادي الذي بناه الاستعمار وأذنابه في وطننا الإسلامي كما ذكرنا سابقًا هدفه ضرب الإسلام وتحطيم مقوماته؛ لأنه يمثل أزمة تحدٍ للحضارة الغربية، والخطة (ألفا) التي تحدث عنها الأستاذ محمد حسنين هيكل في قناة الجزيرة تؤكد هذه الحقيقة، ومضمون

الخطة كما فهمنا من لقاءات الأستاذ هيكل بـــ(تجربة حياة) هي تكريس واقع التجزئة وإحياء الطائفية المذهبية وإذكاء الصراعات حتى تحول دون وحدة الوطن العربي، والوطن الإسلامي يملك من مقومات القوة والوحدة ما لا تملكه أي أمة ولا شعب على وجه الأرض، فمعظم ثروات العالم تتركز في البلاد الإسلامية، وهذه حقيقة عبر عنها أحد علماء الغرب في مقابلة مع قناة الجزيرة حيث قال: "إن الدول الغربية على خريطة العالم تضع على مكان ثروات العالم اللون الأخضر، حيث إذا نظرت إلى هذا اللون تجده في أغلبية البلاد الإسلامية"، والأمة الإسلامية تملك وحدة جغرافية شبه متماسكة تساوي خمسة وثلاثين مليون كيلو متر مربع ووحدة دين وعقيدة واضحة تربط المسلمين بعضهم ببعض في شتى البقاع الإسلامية، وكثير من المقومات التي لا تملكها أي أمة أخرى، لذلك هي محط أنظار العالم وتمثل تحديا كبيرا أمام الحضارة الغربية المادية اللادينية، فحب الوطن بالنظر والتصور الإسلامي ليس جرمًا إن لم يكن على حساب العقيدة والدين، يبقى أن نفرق بين الوطن والحركات الوطنية، فالوطن شيء والحركة الوطنية شيء آخر، فهذه الحركات لا ترى بالانتماء في أغلبها إلا داخل دائرة الجغرافيا المتمثلة بالحدود، فما داخل الحدود هو أخي وابن وطني وله الاهتمام الأول وغير استثنائي ولا تربطني به إلا علاقة المصلحة، وهذا ما نلمسه بالأنظمة العربية التي لا تأبه لقضايا الأمة العربية والإسلامية، ولا تنظر إلا إلى مصالحها الذاتية

حتى لو كانت على حساب الأمة والحركات الوطنية أغلبها ليست حركات إسلامية، لا في الفكر ولا في المنهج وتحمل الفكر العلماني والتصور الغربي للأوطان، فهي تقيم دولاً علمانية تفصل الدين فيها عن الدولة وتسير بركب المشروع الغربي لتصفية الإسلام والقضاء على قيمه العظيمة، وتعميم النمط الحضاري الغربي، ويظهر ذلك جليا بالدساتير العربية التي تذكر الدين على استحياء ولا تحكم بالإسلام، وترفض أسلمة المجتمع وتعمل على علمنته من خلال المؤسسات التعليمية كالجامعات والمدارس، فمدارسنا لا تخرج الشخصية الإسلامية، ولا تضع الرجل المسلم الذي يحمل الهم والمشروع الإسلامي، وأنا لي تجربة طويلة مع إحدى الحركات الوطنية والتي كنت أعتقد أنها تسعى لإقامة دولة الإسلام وتوحيد كلمة المسلمين وتحرير الأرض الإسلامية، لكن اكتشفت بعد دراستي لفكر هذه الحركة أنها لا تمت للإسلام بصلة إلا شكله، ومع دراستي للعلوم الشرعية وتفسير القرآن الكريم في السجن ظهر لي بطلان هذا الفكر وهذا المشروع، وإنها لا تسير وفق منهج الله بل كثيرًا ما تعاديه من خلال إفساد المجتمع وتمييع الذوق العام وتعميم ثقافة غير إسلامية ولا تعمل على إصلاح المجتمع نحو الإسلام، ولا تسعى للمحافظة وتعزيز القيم الإسلامية، لذلك لم أتوان بالخروج منها، ولا يعني ذلك نزع صفة الإسلام عن أبناء الحركات الوطنية بل كشف زيف فكر هذه الحركات، وإنها لا تحكم بشرع الله، ونحن مسلمون وعلى جميع الحركات العاملة

داخل المجتمعات المسلمة أن تصطبغ بصبغة المجتمع الذي تنمو داخله وإلا هي شجرة غريبة لا تنبت بهذه التربة، لذلك أخفقت الحركات الوطنية بتحرير فلسطين و إقامة الدولة الفلسطينية، بل جرت الشعب الفلسطيني من هزيمة إلى أخرى، ومن نكسة إلى أخرى، ومن عار إلى عار آخرها اتفاقية أوسلو المهينة التي اعترفت بحق المجرم بالأرض التي اغتصبها وسرقها وأعطته الحق بامتلاكها والهيمنة عليها، وهذا فساد كبير والواقع يعطي دليلاً على ذلك وعلى فساد الفكر الذي تحمله الحركات الوطنية، والمشروع الذي تسعى لتحقيقه والدولة التي تبغي إقامتها.

نحن نعتقد أن الإسلام هو المحرك الوحيد الذي يمكن له أن يدفع الأمة باتجاه تحرير الأرض ويضمن التمسك بثوابتها الكبرى التي سرعان ما تخلى عنها دعاة الحركة الوطنية، فكل يوم ثابت جديد وكل يوم تغير جديد ومشروع جديد، ومن انتكاسة إلى أخرى، وفلسطين التاريخية أصبحت الضفة وغزة، والقدس أصبحت قدسين، والمحتل له حق الإقامة وحق الأمن، وهذه أرض مقدسة قدسها الله من فوق سبع سموات، وثالث المدن المقدسة بعد مكة والمدينة، هي آية بل آيات في القرآن، فلن يعطي الله امتياز تحرير هذه الأرض إلا للأيادي المتوضئة التي تحمل القرآن بيد والبندقية باليد الأخرى، وتعمل من أجل إقامة دولة الإسلام وإعادة الخلافة الراشدة، هذه ليست دعوة للتناحر والاختلاف وإبخاس الناس أشياءهم بل هي دعوة لحمل الإسلام فكرًا وعملاً ومنهجًا، ودعوة للعودة إلى القرآن

وحضارة الأمم التي سادت الدنيا وقادت الإنسانية نحو الازدهار حتى كانت من ثمارها الحضارة الحديثة.

علينا أن نحمل راية الإسلام أمام المادية الملحدة؛ لأنه بالإسلام عزنا وفخارنا وسيادتنا، والأمم المتحضرة في العصر الحديث تبحث في أعماق التاريخ عن عوامل تجمعها معًا من أجل الوحدة والتوحيد في نظام دولي واحد ودولة واحدة وحضارة واحدة، ونحن للأسف الشديد نتردى ونتراجع القهقرى ونكرس واقع التجزئة ونبحث عن أسباب أخرى لتقسيم المقسم وتجزئة المجزأ، وهذه مصيبة عظيمة لا يمكن الخروج منها إلا بالإسلام الذي يعز الأوطان وتحقيق الوطنية والقومية وتوسيع دائرتها، وحمل خيارها من قبل الشعوب الأخرى، والإسلام يستوعب كل الأوطان والشعوب ويصهرها في أمة واحدة هي أمة القرآن التي تنتمي إلى الله وتحمل خيار الإسلام كحل وبديل.

الخاتمة

بما أن أزمة الإسلام لدى المسلمين أزمة فهم كما يقول أحد العلماء، في هذا الكتيب الصغير ذكرت بعض المفاهيم والتصورات الخاطئة لدى الدعاة المسلمين، وذلك حسب فهمي لما قرأت وسمعت، وهذا رأيي يحتمل الصواب والخطأ، وقد أشرت إلى أن الداعية المسلم في هذا العصر الذي تظهر فيه مظلومية الإسلام ويكاد له من الداخل والخارج، يجب أن يكون فيه راحلة يصبر على مشاق الطريق، فالعامل للإسلام اليوم كالقابض على الجمر، لذلك عانى الإسلام من قلة السائرين على طريقه ومنهجه، وهذه مسؤولية كبيرة على المسلم الذي يجب عليه أن يقدم التضحيات من أجل هذا المنهج والدين؛ أنه يتعرض للخطر بسوء الفهم وسوء التطبيق، والداعية عليه أن يصحب مع فكره عملاً مقبولاً يعبر فيه ومن خلاله عن صوابية الإسلام، وهذه الكلمات موجهة إلى الشباب المسلم بشكل عام الذين تملؤهم الغيرة والحرقة على هذا الدين، وتضع بين أيديهم مجموعة من المفاهيم حتى لا ييأسوا من حيث أرادوا الإحسان وأن يلجموا عواطفهم بوعي العقل كما قال الإمام البنا رحمه الله: "حتى لا تكون مواقفهم ردات فعل سرعان ما يذهب أدؤها وتفسد أكثر مما تصلح"، لأن

الأمة اليوم بأغلبها تقودها العاطفة نحو العمل، وهذا يخالف الوعي الإسلامي الذي يجمع بين العقل والقلب وهذه الإشكالية لن تزول إلا بالعلم والمعرفة والقراءة، وقد ركزت كثيرًا بهذه الصفحات على أهمية القراءة؛ لأنها الحل والدواء الشافي لمشكلاتنا المعاصرة، فالقارئ كلما أكثر من القراءة زاد وعيه وتوسع فهمه، وغار بعقله أكثر في حقائق الأمور ودقائقها، فأينما وجهت وجهك شطر الأمة ومشاكلها على كل الصعد ستصل إلى يقين أن مشاكلنا الكبرى هي قلة الوعي والعلم، ولن يكون هناك حلاً إلا بالقراءة.

فالخطوة الأولى بمسيرة التقدم يجب أن تكون نحو المكتبات المسموعة والمقروءة، هذا الكتيب ليس مصدرا للمعلومات، فظروف السجن أفقرتنا للمصادر، فنحن نحرم من الكتب، ومن الكتب ما لا نراها إلا بعد ترحل طويل ومنها ما لا نراه مطلقًا، والتشديد على إدخالها كبير، وتهدف إدارة السجون من ذلك تجهيل جمهور الأسرى، وإني أرجو الله أن تنفع هذه الكلمات الشباب المسلم الذي يحمل الهم الإسلامي ويكون راحلة الإسلام بهذا العصر، وأن ينفعنا وإياكم بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسولنا الكريم وآله وأصحابه

فهرس

الموضـــوع	الصفحة
إهـــداء	5
مقدمـــة	7
قراءة	11
الرواحل وشعائر الدين	13
أمة واجبات	19
العلم بالتصور الإسلامي	27
وسائل القراءة	29
الأخلاق	37
الجهاد في سبيل الله وسوء الفهم	45
الرواحل بين الربانية والوقع	59
الرواحل بين الدعاة والعلماء	63
إخلاص العمل مع الله	68
الرواحل والجسم السوي	75

الموضـــــوع	الصفحة
حقوق الله وحقوق العباد	81
الرواحل بين القول والعمل	91
الرواحل وتحديات العصر	95
الرواحل ووسائل الإعلام	99
الحرص على المسؤولية وحب الزعامة	105
العاملون للإسلام في فلسطين ثمرتهم حماس والجهاد	113
الرواحل بين التنطع في الدين والإفراط فيه	127
الرواحل بين العصبية المذمومة والتقليد المذموم	131
الرواحل ودراسة التاريخ	135
الرواحل بين الوطنية والإسلام	141
الخاتمـــة	147

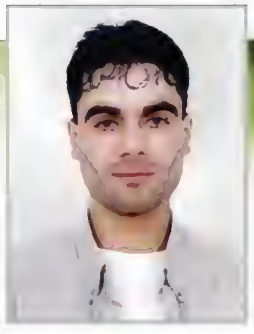

» تعريف بالكتب لأسير

- **الاسم: محمود عبد الله علي عارضة.**
- تاريخ الميلاد: 1975/11/08.
- مرات الاعتقال: مرتان.
- الحالة الاجتماعية: أعزب.
- تاريخ الاعتقال الأخير: 1996/09/21.
- مكان الإقامة: جنين - عرابة.
- الحكم: مؤبد + 15 عام.

الشهادات التعليمية:

- طالب كلية الشريعة - الكلية الجامعية للعلوم التطبيقية.

المؤلفات:

- تأثير الشيخ الغزالي على حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، منهجًا وفكرًا.
- فقه الجهاد.

» في هذا الكتاب

بما أن أزمة الإسلام لدى المسلمين أزمة فهم كما يقول أحد العلماء، في هذا الكتاب يحاول الأسير ذكر بعض المفاهيم والتصورات الخاطئة لدى الدعاة المسلمين، وذلك حسب فهمه لما قرأ وسمع، وفي رأيه يحتمل الصواب والخطأ، وقد أشار إلى أن الداعية المسلم في هذا العصر الذي تظهر فيه مظلومية الإسلام ويكاد له من الداخل والخارج، يجب أن يكون فيه راحلة يصبر على مشاق الطريق، فالعامل للإسلام اليوم كالقابض على الجمر، لذلك عانى الإسلام من قلة السائرين على طريقه ومنهجه، وهذه مسؤولية كبيرة على المسلم الذي يجب عليه أن يقدم التضحيات من أجل هذا المنهج والدين؛ أنه يتعرض للخطر بسوء الفهم وسوء التطبيق، والداعية عليه أن يصحب مع فكره عملاً مقبولاً يعبر فيه ومن خلاله عن صوابية الإسلام.

وقد ركز الأسير كثيرًا في هذا الكتيب على أهمية القراءة؛ لأنها الحل والدواء الشافي لمشكلاتنا المعاصرة، فالقارئ كلما أكثر من القراءة زاد وعيه وتوسع فهمه، وغار بعقله أكثر في حقائق الأمور ودقائقها.